(٩٠) سورة البلد مكية وآياتها عشرون

● هذه السورة الكريمة مكية ، وأهدافها نفس أهداف السور المكية ، من تثبيت العقيدة والإيمان ، والتركيز على الإيمان بالحساب والجزاء ، والتمييز بين الأبرار والفجار .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالقسم بالبلد الحرام ، الذي يسكنه النبي عليه الصلاة والسلام تعظيماً لشأنه ، وتكريماً لمقامه الرفيع عند ربه ، ولفتاً لأنظار الكفار إلى أن إيذاء الرسول في البلد الأمين من أكبر الكبائر عند الله تعالى .

● **ثم تحدثت** عن بعض كفار مكة ، الذين اغتروا بقوتهم ، فعاندوا الحقَّ ، وكذبوا رسول الله ﷺ وأنفقوا أموالهم في المباهاة والمفاخرة ، ظناً منهم أن إنفاق الأموال يدفع عنهم عذاب الله ، وقد ردت عليهم الآيات بالحجة القاطعة والبرهان الساطع .

● **ثم تناولت** أهوال القيامة وشدائدها ، وما يكون بين يدي الإنسان في الآخرة من مصاعب ومتاعب وعقباتٍ لا يستطيع أن يقطعها ويجتازها إلا بالإيمان والعمل الصالح .

● **وختمت** السورة الكريمة بالتفريق بين المؤمنين والكفار في ذلك اليوم العصيب ، وبيَّنت مآل السعداء ، ومآل الأشقياء ، في دار الجزاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البلد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[١]

قوله عز وجل: **لا أقسم بهذا البلد**، اختلف في قوله: **لا**.[2] قال بعضهم: **لا** هاهنا في موضع الدفع والردّ[3] لمنازعة كانت بين قوم، فدفعَ الله تعالى المنازعة من بينهم بقوله: **لا**. وكانت تلك المنازعة معروفة فيما بينهم فَتَرَك ذكرَها لذلك، كما ذَكَر الجوابَ في بعض السور ولم يذكر السؤال لِما كان السؤال عندهم معروفا فترك ذكره، وهو كقوله تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا،[4] وغير ذلك. ومنهم من يقول بأن حرف **لا** مرة تستعمل[5] في حق الصلة والتأكيد، ومرة في موضع النفي، فيظهر مرادُه بما يُعقِبه من الكلام؛ فإن[6] كان الذي يعقبه إثباتا فهو بحق التأكيد، وإن كان الذي يعقبه من الكلام نفيا فهو في موضع النفي. ثم الذي عَقَبه [هنا] من الكلام إثبات وليس بنفي، فدلّ أنه في موضع التأكيد، فكأنه قال: لَأُقسم[7] بهذا البلد.

---

[1] ر – سورة البلد؛ ن م: سورة لا أقسم بهذا البلد؛ ث + وهي عشرون آيات مكية.

[2] ر – لا.

[3] م: في موضع الرد.

[4] سورة الزلزال، ٩٩/١.

[5] جميع النسخ: يستعمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.

[6] ن: وإن.

[7] ر م: لا أقسم.

ثم كان حقه أن يُقرَأ: "لأقسمنّ بهذا البلد" بإثبات النون، كما يقال: "لَأفعلنّ" في اليمين، لكن نون التأكيد قد تذكر[1] في موضع وقد لا تذكر، قال تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ.[2] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **بهذا البلد**، قالوا: أريد **بهذا البلد** مكةُ، فاقسم بها بما عظَّم شأنها بما سبق ذكرُنا له،[3] وبخاصة[4] هي معظّمة في أعين أهلها. ثم كان من عادة الكفرة القسَمُ بكل ما يعظّمونه، فعاملهم الله تعالى من الوجه الذي جرَت به العادة فيما بينهم ليؤكِّد ما قصد إليه بالقسم فيُزيلَ عنهم الشبهة[5] التي اعترضت لهم.[6]

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **وأنت حل بهذا البلد**، قال بعضهم: وأنت نازلها، من الحُلول، وقال بعضهم: وأنت حَلال بهذا البلد. والحِلّ والحَلال لغتان. فإن كان على هذا فالحِلّ غير منصرف إلى نفسه وإنما انصرف إلى ما أُحلّ له؛ لأنه لا يجوز أن يكون هو بنفسه حلالا أو حراما. فالحِلّ والحرمة إذا أضيفا[7] إلى من له الحلّ والحرمة فإنما يراد بالحل والحرمة[8] الشيءُ الذي أُحلّ له والشيء الذي حُرّم عليه، لا أن يكون الوصف راجعا إلى المضاف إليه. فإذا قيل: هذا محرّم، أريد به [٩٠٦ظ] أنّ الأشياء / محرّمة عليه؛ وإذا قيل: هذا حلال ليس بمحرم، أريد به أن الأشياء له حلال. وإذا أضيفا[9] إلى من لا يُخاطَب بالحلّ والحرمة أريد بهما عين ذلك الشيء، كقوله: هذا لحم حلال أو صيد حلال، وهذا لحم[10] حرام، فيريد به[11] أن ذلك اللحم حلال وذلك الصيد حرام أو حلال.

[1] جميع النسخ: قد يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣و.
[2] ﴿إنما جُعل السّبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٢٤).
[3] انظر: تأويل الآية ٧ من سورة الشورى.
[4] جميع النسخ: ولخاصة. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر م: الشبه.
[6] ر م – لهم.
[7] ر ت: إذا أضفنا.
[8] ت – فإنما يراد بالحل والحرمة.
[9] ر ت م: وإذا أضفنا.
[10] ن ت: الخمر.
[11] جميع النسخ – به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.

ثم اختلفوا في الذي أُحلّ له. فمنهم من صرفه إلى القتال فقال بأنه أحلّ له القتال فيها، وذلك يوم فتح مكة. ومنهم من قال بأنه أحلّ له الدخولُ فيها إذا جاء من الآفاق بغير إحرام، ولا يَحِلّ ذلك لغيره. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إنّ مكة حرام حرّمها الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض والشمس والقمرَ ووضع هذين الجبلين، لم تحلّ[١] لأحد قبلي ولا تحل[٢] لأحد بعدي، و لم تحل[٣] لي إلا ساعة من نهار وهي ساعتي هذه. هي[٤] حرام بحرام الله تعالى إلى يوم القيامة: لا يُختَلَى خَلاها[٥] ولا يُعْضَد شَوْكُها ولا يُنفَّر صيدُها ولا يُرفع لُقَطَتُها إلا مَن نَشَدها».[٦] فقال العباس رضي الله عنه: إلا الإِذْخِرَ، يا رسول الله، فإنه لا غنا لأهل مكة عنه للقبر والبنيان.[٧] فقال عليه السلام: «إلا الإذخر».[٨] فبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أحلت له ساعةً من نهار. والحِلّ يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما. وذكر أبو بكر الأصمّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤذيه أهلُ مكة فيتأذّى[٩] بهم فيخرج من بين أظهرهم فيحلّ له الصيد في ذلك الوقت. ولكن لا يسع صرفُ التأويل إلى هذا إذ لا يعرف مثل هذا إلا بالخبر والنقل. ثم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان العباس رضي الله عنه "إلا الإذْخر" دلالة أنّ التحريم لم يكن منصرفا إليه، ولا يحتمل أن يكون التحريم شاملا له. ثم استثناه بما ذكر العباس رضي الله عنه من حاجة أهل مكة إليه لِما لم يكن بين ما ذُكر من التحريم والتحليل كثيرُ مدة يجرى في مثلها النسخ، ولكن تَرَك بيانَ الحِلّ إلى أن سأله العباس رضي الله عنه ثم بيّن. وهو دليل قول أصحابنا -رحمهم الله- أنّ تأخير البيان جائز.

---

[١] جميع النسخ: لم يحل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.

[٢] جميع النسخ: ولا يحل. والتصحيح من المرجع السابق.

[٣] جميع النسخ: ولم يحل. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] ر م – هي.

[٥] في حديث تحريم مكة: «لا يختلى خلاها»، الخلا، مقصور: النبات الرطب الرقيق ما دام رطبا، واختلاؤه: قطعه (*النهاية* لمجد الدين ابن الأثير، «خلا»).

[٦] ر ث م: إلا من سدها.

[٧] ن ث: للغير والشان.

[٨] الإذخِر بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تُسقّف بها البيوت فوق الخشب (*النهاية* لمجد الدين ابن الأثير، «إذخر»). مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٢٥٩، ٣١٥؛ وصحيح *البخاري*، جزاء الصيد ٩، الجزية ٢٢، المغازي ٥٣؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥.

[٩] ن: ويتأذى.

ثم قوله عز وجل: **وأنت حل بهذا البلد،** يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون القسم منصرفا إلى نفسه، فأقسم به لِما عظّم من أمره وشأنه كأنه قال عز وجل: لا، أقسم بهذا البلد وبالذي هو حِلٌّ بهذا البلد. أو يكون منصرفا إلى مكة ويكون قوله: **وأنت حل بهذا البلد،** خَرَج مَخرج التعريف لمكة لكونه فيها، أي البلد الذي أنت نازل[1] به وحالّ به أو حلال فيه.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [٣]

وقوله عز وجل: **ووالد وما ولد،** قال بعضهم: الوالد هو آدم عليه السلام، **وما ولد،** هم[2] أولاده وذريته، ولكن آدم وأولاده ليسوا بمخصوصين[3] بالدخول تحت اسم الوالد والولد، بل ذلك فيهم وفي جملة الروحانيين؛ فيكون القسم بالخلائق أجمع، ويكون **ما** على هذا التأويل بمعنى "الذي".[4] ومنهم[5] من جعل **ما**[6] "ما" جَحْدٍ فقال: **وما ولد،** أي الذي لا يلد، وهو العاقر؛ فاقسم بالبشر جملةً: من يلد منهم ومن لا يلد.[7] وأقسم بهم أيضا لِما جعلهم مفضَّلين على كثير من الخلائق.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [٤]

وقوله عز وجل: **لقد خلنا الإنسان في كبد.** فعلى هذا [القول] موقع القسم.[8] ثم اختلفوا في **كبد.**[9] فقال بعضهم: الكبد الانتصاب، أخبر أنه[10] خلق الإنسان مُنْتصِبا، وخَلَق كلَّ دابة مُنْكَبًّا. وقال بعضهم: الكَبَد الشدة والمعاناة. وقال بعضهم: خلقه منتصِبا في بطن أمه، ثم يُقْلَب وقتَ الانفصال.

---

[1] ن: تارك.
[2] ر م – هم.
[3] ر ث م: مخصوصين.
[4] ن: والذي؛ ث: والذي ولد.
[5] ن – ومنهم.
[6] جميع النسخ: الماء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.
[7] ن: ومن يلد.
[8] أي فعلى التأويل الأخير من كون القسم بالبشر جملة: من يلد منهم ومن لا يلد يكون موضع القسم قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.
[9] ث م – فعلى هذا موقع القسم ثم اختلفوا في كبد.
[10] م – أنه.

ولقائل أن يقول: أيُّ حكمة في ذكر هذا وفي تأكيده[١] بالقسم، وكلٌّ يعلم أنه خُلق كذلك؟

فجوابه أنّ في ذكر هذا [وفي تأكيده بالقسم][٢] إبانةَ أنهم لم يُخلَقوا عبثا باطلا، بل خلقهم الله تعالى ليمتحنهم ويأمرهم بالعبادة، كما قال: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[٣] فإن كان التأويل منصرفا إلى الشدة والمعاناه فتأويله أنه خلقهم لِيُكابِدُوا للمعاش والمعاد جميعا، وخلقهم للشدة ليعتبروا ويتذكروا. وإن كان منصرفا إلى الانتصاب ففيه تعريفٌ لعِظَم نِعَم الله تعالى عليهم من غير أن كانوا مستوجبين لذلك ليستأدي منهم الشكرَ بذلك. وإن كان التأويل على ما ذُكر أنه خلقه منتصبا في بطن أمه ثم يُقْلَب وقتَ الانفصال ففيه أنّ الله تعالى قادرٌ على ما يشاء وأنّه لا يُعجزه شيء، لأنه[٤] لا يتهيأ[٥] لأحد أن يُقلِب[٦] أحدا فيجعلَ أعلاه أسفله إلا أن يجد مثله في المكان سعة، ثم إن الله تعالى قَلَبه فجعل[٧] أعلاه أسفلَه في ذلك المكان الضيّق ليتبيّن[٨] لهم أنه لا يُعجزه شيءٌ فيحملَهم ذلك على الإيمان بالبعث والنشور. *والله أعلم.*

ومعنى قوله: **لقد خلقنا الإنسان في كبد،** عندنا: لقد خلقنا الإنسان لما له يُكابِد، فإن كانت مكابدته في طاعة الله تعالى وكان مؤثِرا لها فقد خلق للجنة،[٩] وإن كانت مكابدته في أمر الشيطان فهو للنار خُلق. وعلى هذا يخرج قوله تعالى: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ،[١٠] أي ذرأ مَن يعلم أنه يؤثِر طاعة الشيطان وعصيان[١١] الرحمن لجهنم، وذرأ مَن يعلم أنه يعبد الله ويوحّده للعبادة [للجنة] بقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.[١٢]

[١] ر م: هذا أو في تأكيده.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٤٣ظ.
[٣] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[٤] ن: أنه.
[٥] م: يتهيأ.
[٦] ر م: أن القلب.
[٧] جميع النسخ: فجعله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[٨] جميع النسخ: فيتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: الجنة. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] سورة الأعراف، ١٧٩/٧.
[١١] ن: وغضبان.
[١٢] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.

[٩٠٧و] / والأصل أن الحكيم[١] يقصد بفعله العاقبة إلا الذي ليست له معرفة بالعاقبة، فأما مَن عرف العاقبة فابتداءُ فعله يقع لتلك العاقبة، فإن كانت عاقبته[٢] النارَ فابتداء الخلق من الله تعالى يقع لذلك الوجه، وإن كانت عاقبته الجنة فهو لذلك الوجه ما خُلق. فعلى ذلك يُخرَّج تأويل[٣] قوله عليه السلام: «السعيد سعيد في بطن أمه والشقي شقي في بطن أمه».[٤] وهو لا يوصف[٥] بالسعادة والشقاوة في ذلك الوقت، ولكن معناه أنه إذا آثر الشقاوة في حالة الامتحان خلق لذلك،[٦] وإذا آثر السعادة فكذلك[٧] أيضا. وقال نوح عليه السلام: وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا،[٨] وهم في وقتِ ما وُلدوا غيرُ موصوفين بواحد من الوصفين بل يصيرون[٩] كذلك، فتبين أنهم خلقوا لذلك. فموقع القسم على ما له يُكابِد ليس على المكابدة نفسها، لأن المكابدة[١٠] من الإنسان ظاهرة لا يحتاج إلى تأكيدها بالقسم. وقولنا: إن المقصود من ابتداء الفعل العاقبةُ[١١] قولُ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أردت أمرا فدَبِّر عاقبته فإن كانت رشدا فأَمضِه وإن كانت غيّا فانته».[١٢]

وزعمت المعتزلة أن الله تعالى لم يخلق أحدا من البشر إلا ليعبده، ولو كان الأمر على ما زعموا وظنوا لأدى ذلك إلى الجهل بالعواقب، أو أوجب[١٣] أن يكون الفعل خارجا مخرج الخطأ؛ لأن كلّ من صنع أمرا يريد غير الذي يكون يكون[١٤] جاهلا بالعواقب أو عابثا بالفعل، لأن من بنَى[١٥] لشيء يعلم أنه لا يكون عُدَ ذلك منه عبثا، ولو كان غيرَ الذي يريده

---

[١] جميع النسخ و*الشرح*: أن الحكم أبدا.
[٢] م: كان عاقبة.
[٣] ر م: تأويله.
[٤] *كشف الأستار عن زوائد البزار* للهيثمي، ٢٣/٣؛ و*كشف الخفاء* للعجلوني، ٥٤٨/١.
[٥] ر ث م: وهؤلاء بوصف.
[٦] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[٧] ر ن ث: فلذلك.
[٨] ﴿إنك إن تَذَرْهُم يُضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ (سورة نوح، ٢٧/٧١).
[٩] ر ن م: بل يصيروا.
[١٠] ر + نفسها.
[١١] ر ث م – العاقبة.
[١٢] *كتاب الزهد* لابن المبارك، ١٤؛ وانظر: *مصنف عبد الرزاق*، ١٦٥/١١.
[١٣] جميع النسخ: أو وجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[١٤] جميع النسخ – يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] ر م: من أنشأ؛ ث: من نشأ.

وهو أن يَبني ليَسكن فيه[1] ثم يَنقُضَ قبل أن يسكن كان الذي حمله على البناء جهلُه بالعواقب. وجَلَّ الله تعالى من أن يلحقه خطأٌ في التدبير أو جهلٌ بالعواقب. فثبت بما ذكرنا أن الله تعالى شاء لكل فريق ما علم الذي يكون منهم، وخلقهم لذلك الوجه دون أن يكون خَلَقَ الجملةَ للعبادة. *والله أعلم*.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾[٥] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا﴾[٦] ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت ما لا لبدا أيحسب أن لم يره أحد**، فالآية تحتمل[2] وجهين. أحدهما أن يكون حَسِب أنّ الله تعالى لا يقدر على بعثه، فيكون قوله: **أحد**، هو اللهَ تعالى. **يقول أهلكت ما لا لبدا** -أي جمًّا- **أيحسب أن لم يره أحد**، أي أنفقتُ منه مقدارَ ما يخرج عن حد[3] الإحصاء. وقوله:[4] **لم يره أحد**، أي لم يعلم أحد مبلغ ما أنفق من ذلك. أو يكون قوله: **أيحسب أن لم يره أحد**، أي لم يعلم[5] [أحد من][6] أتباعه الذين أَنفق عليهم مقدارَ ما أنفق عليهم؛ فيكون في قوله تعالى: **أهلكت مالا لبدا** إظهارٌ منه لسخاوته[7] وجوده على الافتخار منه بذلك وامتنانٌ[8] منه على أتباعه. فإن كان على هذا فهو في أمر الدنيا. وقد عَلِم الله[9] القدرَ الذي أنفق عليهم[10] وعَلِمَ الخلق سخاوته لا بقوله. فليس اشتغاله في إظهار الجود والامتنان إلا نوع من السفه، وكان الذي يحق عليه الاشتغالَ بالشكر لله تعالى أو توجيهَ الحمد إليه، لِما علم أن الذي أُنعِم به من المال الكثير من الله تعالى وأن تلك الْمَنْقَبة -وهي السخاوة- نالها بالله تعالى. وهذا كقوله تعالى: فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ،[11]

---

[1] ث - فيه.
[2] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤و.
[3] ر م - حد.
[4] ث: قوله.
[5] ن: لم تعلم.
[6] الزيادة من المرجع السابق.
[7] ر م: السخاوة.
[8] جميع النسخ: وامتنانا.
[9] ن: وقد علم أتباعه.
[10] ن + فإن كان على هذا.
[11] سورة البقرة، ٢/٢٠٠.

أي آباؤكم[1] لم ينالوا ما تذكرون[2] من الشرف والمناقب الحميدة إلا بالله تعالى فاذكروه كذكركم آباءكم.[3] وهذا النوع من الافتخار راجع إلى الخصائص من القوم[4] لا إلى الجملة، إذ كلُّ أحد يقول مثل ذلك أنه أهلك مالا لبدا أو فَعَل كذا.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾[٨] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين**، فإن كان قوله: أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ،[5] على نفي القدرة على البعث ففي ذكر العين نفيُ تلك الشبهة، وهو أن الله تعالى أنشأ له بصرا[6] يرى بِفَتْحة واحدة ما بين السماء والأرض، فمن بلغت قدرتُه هذا لا يجوز أن يُعجزه[7] شيءٌ أو يخفى عليه أمرٌ. فقوله: **ألم نجعل له عينين**، أي ألم نخلق له عينين يُدرك بهما المحسوسات بالنظر، وجعلنا لهما جُفُونا[8] وأشفارا يدفع بهن[9] القَذى عن عينيه ويُغمّضهما[10] بهن[11] عن النظر إلى مالا يعينه.

وقوله عز وجل: **ولسانا**، أي خلقنا له لسانا يُحضِر به ما غاب واستتر. وقوله عز وجل: **وشفتين**، ففي خلق الشفتين وجهان من الحكمة. أحدهما أنه جعلهما طَبَقا يستران قُبحَ ما في فمه، ولولا هما لكان الناظر إليه وقتَ مَضْغِه الطعامَ أو شيئا من الأشياء استقذر ذلك منه. أو جعلهما[12] طَبَقا للسانه لئلا يمدّه ويستعمله فيما لا يعنيه. فذَكّرهم عِظَم نعمه في خلق العينين واللسان والشفتين ليستأدي منهم الشكر، وليعلموا أن الذي بلغت قدرته هذا ليس بالذي[13] يعجزه شيء.

---

[1] م – أي آباؤكم.
[2] ن ث م: ما يذكرون.
[3] ر – أي آباؤكم لم ينالوا ما تذكرون من الشرف والمناقب الحميدة إلا بالله تعالى فاذكروه كذكركم آباءكم.
[4] جميع النسخ: من القوة. والتصحيح من الشرح، ورقة ٣٤٤ظ.
[5] الآية ٥ من هذه السورة.
[6] ر: بصيرا.
[7] جميع النسخ: لا يعجزه. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر: حقوقا؛ ن ث: حفوفا.
[9] ن: يمين.
[10] ث: ويغضهما.
[11] ر ن م: ويغضهما يمين.
[12] جميع النسخ: وجعلهما. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: ما الذي. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[١٠]

وقوله: **وهديناه النجدين**، أي بيّنّا له[١] ما له وما عليه[٢] وما يُحمَد[٣] عليه وما يُذَمّ وما يَقبُح وما يَجمُل. والنجد الطريق، فبيّن للخلق الطريقين جميعا طريقَ الخير والشر، ومكّنهم من الفعلين جميعا. وقال بعضهم: النجدان الثَّديان، أي هديناه الثديين في حالة الارتضاع.[٤] ولكن التبيين[٥] والهداية لم ينصرف إلى هذا / خصوصا، بل هذا من بعض ما هداه وبيّنه، فقد بيّن له غيره [٩٠٧ظ] من الأمور، ولا قيد في اللفظ فيُحمَل على الإطلاق والعموم.[٦]

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾[١١] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾[١٢] ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[١٣] ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾[١٤] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[١٥] ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فلا اقتحم العقبة**، قيل فيه من وجهين. أحدهما فهلّا اقتحم العقبة، والثاني أنه لم يقتحم. فإن كان على الأول فمعناه أن الذي قال: أنفقتُ مالا لُبَدا، كيف لا كان إنفاقه في فك الرقبة وفي الإنفاق على اليتيم والمسكين الذي بلغ به الْجَهْدُ إلى أن لَصِق[٧] بالتراب ويكونُ من جملة من آمن بالله تعالى وتواصَى[٨] بالصبر والمرحمة، ليكون من أصحاب الميمنة ويكتسبَ[٩] بذلك الحياة الطيبةَ في الآخرة. دون أن يكون إنفاقُه[١٠] في الملاهي وشهوات النفس فلم يُحصِّل لنفسه حمدا ولا أجرا في العقبى، بل صار من أصحاب المشأمة. فيكون ما بعد قوله: أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا،[١١] صلةً له وتفسيرا. وإن كان التأويل على النفي ففيه تكذيب [له][١٢] فيما زعم[١٣] أنه أنفق مالا لبدا.

---

[١] جميع النسخ: مسأله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤ظ.
[٢] جميع النسخ: ما عليه وما له. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر ث: وما يحمل.
[٤] جميع النسخ: الارضاع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر: التنن؛ ن: السين؛ م: السنن.
[٦] ن – والعموم.
[٧] ر م: الصق.
[٨] ر ث م: وتواصوا.
[٩] ث: ويكسب.
[١٠] ر ن ث: العاقبة.
[١١] الآية ٦ من هذه السورة.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ر م: فيما يزعم.

فيقول:[1] لو كان على ما يظنّ لظهر ذلك بفكّ[2] الرقاب والمؤاساة على اليتيم وعلى المسكين الذي هو ذو متربة. فيكون هذا كلُّه صلة قوله عز وجل: أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا، أيضا.

ثم الكلام في العقبة من وجهين.[3] أحدهما على تحقيق العقبة، وهو أن يكون في النار عقبةٌ لا تُجَاوَز ولا تقطع[4] إلا بما[5] ذُكِر من فكّ الرقبة والإطعام في يوم ذي مسغبة، كقوله تعالى: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا.[6] وقوله عز وجل: **وما أدراك ما العقبة**، على تحقيق العقبة. معناه وما أدراك[7] بما تقطع[8] تلك العقبة. ثم بيّن أنها تُقطَع[9] بما ذكر من فكّ الرقبة ونحوه. و[الثاني] جائز أن يكون على التمثيل لا على التحقيق. ووجهه أنه يشتدّ عليه تحمّل الْمُؤَنِ التي ذُكِر من فكّ الرقبة وإطعام المساكين ومواساة اليتيم، فتكون[10] العقبة كناية عن تحمل المؤن لا عن[11] العقبة نفسها، وهو كقوله: وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ،[12] أن يصير الإيمان عليه في الشدة والثقل كأنه كُلِّف الصُّعودَ إلى السماء. ويشتدّ على الأول تحمّلُ المؤن كما يشتد عليه قَطْع العقبة والصعودُ عليها.

والاقتحام هو رمي النفس في المهالك، وقيل: الاقتحام هو تحمل المؤن. فإن كان على تحمل المؤن فوجهه ما ذكرنا أنْ كيف لم يحتمل هذه المؤنَ ليصير من أهل الميمنة؟ وإن كان على الرمي في المهالك[13] فكأنه يقول: قد أهلك نفسه بترك الإنفاق في الوجوه التي ذَكَرَ والإعراضِ عن الإيمان بالله وتركِه[14] فِكاكَ الرقبة.

---

[1] جميع النسخ: فنقول. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤ظ.
[2] ر ث م: ليظهر على ذلك ففك.
[3] جميع النسخ: ثم قيل في العقبة في وجهين. والترجيح من المرجع السابق.
[4] ر م: لا يتجاوز ولا يقطع؛ ن: ولا يقطع.
[5] ر م: الإيمان.
[6] ﴿ذَرْنِي ومن خلقتُ وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شُهودا ومهدتُ له تمهيدا ثم يطمع أن أزيدَ كلّا إنه كان لِآياتنا عنيدا سأُرهقه صَعودا﴾ (سورة المدثر، ١١/٧٤-١٧).
[7] جميع النسخ: وما يدريك. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: بما يقطع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ن م: يقطع.
[10] ر: فيكون.
[11] ث: لا على.
[12] سورة الأنعام، ١٢٥/٦.
[13] ر ث م + لم يحتمل هذه المؤن ليصير من أهل الميمنة.
[14] جميع النسخ: فتركه. والتصحيح من المرجع السابق.

وروى أبو بكر الأصم في تفسيره خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله فقال: يا رسول الله دُلّني على عمل أَدخل به الجنةَ. فأمره بعتق النسمة وفكّ الرقبة. فقال السائل: أليسا هما واحدا؟[١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا، عتق النسمة أن تُعتِقها،[٢] وفكّ الرقبة أن تُعين على فِكاكها».[٣] ففكاك الرقبة أن تُخلِّصها[٤] من وجوه المهالك، وذلك يكون بالتخليص عن ذُلّ الرِق، وأن ترى إنسانا هَمّ بقتلِ[٥] آخَرَ بغير حق فتدفع[٦] عن المظلوم شرَّ الظالم، وتراه يَغْرَق فتخلِّصه[٧] عن ذلك فيكون في ذلك كلِّه فِكاكُ الرقبة عن المهالك لتكتسب بها الحياة الطيبة في الآخرة.

واختلف[٨] القراء في هذا الحرف. فمنهم من قرأ: فكَّ رقبةً أو أَطْعَمَ[٩] في يومٍ ذي مسغبة، على النصب.[١٠] ومنهم من قرأ: **فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ**، على الرفع. فإذا قرأته بالنصب فمعناه: هلّا فكَّ رقبةً أو أطعمَ، فيكون راجعا إلى تفسير الاقتحام. وإذا قرأته بالرفع انصرف التأويل إلى تفسير العقبة؛ فكأنه قال: قطعُ العقبةِ يكون بالفكّ وبما ذكرنا.

وذكر عن سفيان بن عيينة رضي الله عنه أنه قال: كل ما في القرآن "وما أدراك" فقد أعلمه ودرّاه، وكلّ ما فيه "وما يدريك" فهو لم يُعلمه.[١١] ***والله أعلم.***

---

[١] ر ث م: واحد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٤ظ.

[٢] ن – فقال السائل أليسا هما واحدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عتق النسبة أن تعتقها.

[٣] عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله علّمني عملا يُدخلني الجنة. فقال: «لئن كنتَ أقصرتَ الخطبة، لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفُكّ الرقبة»، فقال: يا رسول الله أو ليستا بواحدة، قال: «لا، إن عتق النسمة أن تَفرّد بعتقها، وفكّ الرقبة أن تعين في عتقها، والمِنْحة الوَكوف، والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع وَاسْقِ الظمآن وامر بالمعروف وَانْهَ عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فَكُفَّ لسانك إلا من الخير» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٩/٤). والمنحة الوَكوف: أي غزيرة اللبن. والفيء: أي الرجوع إليه بالإحسان.

[٤] جميع النسخ: أن يخلصها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.

[٥] ن ث: يقتل.

[٦] جميع النسخ: فيدفع. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ث: فيخلصه.

[٨] جميع النسخ: فاختلف. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر ث م: أو إطعام.

[١٠] قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: "فَكَّ" بفتح الكاف، "رَقَبَةً" بالنصب، "أَوْ أَطْعَمَ" بالنصب أيضا وفتح الألف (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٧٣).

[١١] ر م: لم يعلم. *زاد المسير* لأبي الفرج الجوزي، ١٣٤/٩؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٦٦/٢٠.

والمسغبة: المجاعة.[1] وقوله عز وجل: **ذا مقربة**، أي قرابة منه. وقوله عز وجل: **أو مسكينا ذا متربة**، أي ألصق بطنه بالتراب. وقيل: ليس له شيء يَحْجُبه عن التراب.

ثم في قوله: **يتيما ذا مقربة**، دلالة وجوب حق اليتيم على القريب إذا كان محتاجا. فيكون فيه حجة لقول أصحابنا: إنّ اليتيم إذا كان محتاجا فُرضت نفقتُه على أقربائه. وفي قوله: **أو مسكينا ذا متربة**، دلالة أن المسكين الذي هذا[2] وصفه: وهو أن لا يكون بينه وبين التراب حائل، فكفايته تَلزم الخلقَ جملةً.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **ثم كان من الذين آمنوا**، فتأويله أنه لا ينفعه فكُّ الرقبة ولا الإطعامُ حتى يكونَ مؤمنا، [ويكون] مع ذلك متواصيا بالصبر والمرحمة، فإذا كان كذلك فحينئذ يُجعَل[3] قاطعا للعقبة. وجائز أن يكون الصبرُ أريد به الإيمانُ كقوله: إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[4] أي آمنوا. والتواصي بالصبر وبالمرحمة هو الأمر بالمعروف والنهيُ عن المنكر؛ إذ التواصي مأخوذ
[٩٠٨و] من الوصيّة، وهذا يوجب أن يكون الأمر بالمعروف والنهيُ / عن المنكر في اعتقاد الإيمان.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **أولئك أصحاب الميمنة**، أي أصحاب الميامن، وهم أهل اليُمن.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾[١٩] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة**، أي أصحاب الشُؤم على أنفسهم، حيث عملوا بالمعاصي واستوجبوا به نارا مؤصدة وهي[5] المُطْبَقَة المبهمة. وَصْفُه الإطباقَ ما ذكر في آية أخرى، وذلك قوله عز وجل: لَهُم مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[6] وقوله تعالى:[7] أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا،[8] الآية. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: المجلحة.

[2] جميع النسخ - هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٤٥و.

[3] جميع النسخ: يحصل. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] سورة هود، ١١/١١.

[5] جميع النسخ + المؤصدة. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] سورة الزمر، ١٦/٣٩.

[7] ر م: وقال الله؛ ن ث: وقال. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾ (سورة الكهف، ٢٩/١٨).

سورة البلد

عشرون آية مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝﴾

أجمع المفسرون على أن ذلك البلد هي مكة، واعلم أن فضل مكة معروف، فإن الله تعالى جعلها حرمًا آمنًا، فقال في المسجد الذي فيها: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وجعل ذلك المسجد قبلة لأهل المشرق والمغرب فقال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] وشرَّف مقام إبراهيم بقوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وأمر الناس بحج ذلك البيت فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] وقال في البيت: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] وقال: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٢٦] وقال: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧] وحَرَّم فيه الصيد، وجعل البيت المعمور بإزائه، ودُحيت الدنيا من تحته، فهذه الفضائل وأكثر منها لمَّا اجتمعت في مكة لا جرم أقسم الله تعالى بها.

فأما قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ فالمراد منه أمور: **أحدها:** وأنت مقيم بهذا البلد نازل فيه حال به، كأنه تعالى عظَّم مكة من جهة أنه عليه الصلاة والسلام مقيم بها. **وثانيها:** الحل بمعنى الحلال، أي أن الكفار يحترمون هذا البلد ولا ينتهكون فيه المحرمات، ثم إنهم مع ذلك ومع إكرام الله تعالى إياك بالنبوة يستحلون إيذاءك ولو تمكنوا منك لقتلوك، فأنت حل لهم في اعتقادهم لا يرون لك من الحرمة ما يرونه لغيرك، عن شرحبيل: يحرمون أن يقتلوا بها صيدًا أو يعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك. وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب له من حالهم في عدوانهم له. **وثالثها:** قال قتادة: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ أي لست بآثم، وحلال لك أن تقتل بمكة من شئت، وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له، وما فُتحت على أحد قبله، فأحل ما شاء وحرم ما شاء وفعل ما شاء، فقتل عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة وغيرهما، وحرم دار أبي سفيان، ثم قال: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَنْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَلاَ يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَلُهَا، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ تَحِلُّ لُقَطَتُهَا إِلاَّ لِمُنْشِدٍ**» فقال العباس: إلا الإذخر يا

رسول الله فإنه لبيوتنا وقبورنا، فقال «إلاَّ الإِذْخِرَ»[١]. فإن قيل: هذه السورة مكية، وقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ إخبار عن الحال، والواقعة التي ذكرتم إنما حدثت في آخر مدة هجرته إلى المدينة، فكيف الجمع بين الأمرين؟ **قلنا:** قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلاً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] وكما إذا قلت لمن تعده الإكرام والحباء: (أنت مكرم محبو) وهذا من الله أحسن؛ لأن المستقبل عنده كالحاضر بسبب أنه لا يمنعه عن وعده مانع. **ورابعها:** ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أي وأنت غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه تعظيمًا منك لهذا البيت، لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر بالله، وتكذيب الرسل. **وخامسها:** أنه تعالى لما أقسم بهذا البلد دل ذلك على غاية فضل هذا البلد، ثم قال: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أي وأنت من حل هذه البلدة المعظمة المكرمة، وأهل هذا البلد يعرفون أصلك ونسبك وطهارتك وبراءتك طول عمرك من الأفعال القبيحة. وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ [يونس: ١٦] فيكون الغرض شرح منصب رسول الله ﷺ بكونه من هذا البلد.

أما قوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فاعلم أن هذا معطوف على قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ وقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ معترض بين المعطوف والمعطوف عليه، وللمفسرين فيه وجوه: **أحدها:** الولد آدم، وما ولد: ذريته، أقسم بهم إذ هم من أعجب خلق الله على وجه الأرض؛ لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم، وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى والأنصار لدينه، وكل ما في الأرض مخلوق لهم وأمر الملائكة بالسجود لآدم وعلَّمه الأسماء كلها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] فيكون القسم بجميع الآدميين صالحهم وطالحهم؛ لما ذكرنا من ظهور العجائب في هذه البنية والتركيب، وقيل: هو قسم بآدم والصالحين من أولاده، بناء على أن الطالحين كأنهم ليسوا من أولاده وكأنهم بهائم، كما قال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] **وثانيها:** أن الوالد إبراهيم وإسماعيل وما ولد محمد ﷺ وذلك لأنه أقسم بمكة وإبراهيم بانيها وإسماعيل ومحمد عليهما السلام سكانها، وفائدة التنكير الإبهام المستقل بالمدح والتعجب، وإنما قال: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ولم يقل: (ومن ولد) للفائدة الموجودة في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي بأي شيء وضعت، يعني موضوعًا عجيب الشأن. **وثالثها:** الولد إبراهيم وما ولد جميع ولد إبراهيم بحيث يحتمل العرب والعجم. فإن جملة ولد إبراهيم هم سكان البقاع الفاضلة من أرض الشام ومصر وبيت المقدس وأرض العرب، ومنهم الروم لأنهم ولد عيصو بن إسحاق، ومنهم من خص ذلك

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب (الحج) باب (لا ينفر صيد الحرم) (٢/ ٦٥١) حديث رقم (١٧٣٦) من طريق خالد عن عكرمة عن ابن عباس... به، ورواه ابن ماجه في (سننه) (٢/ ١٠٣٨) حديث رقم (٣١٠٩) من طريق الحسن بن مسلم بن يناق عن صفية بنت شيبة... به.

بولد إبراهيم من العرب، ومنهم من خص ذلك بالعرب المسلمين، وإنما قلنا: إن هذا القسَم واقع بولد إبراهيم المؤمنين لأنه قد شُرع في التشهد أن يقال: (كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ) وهم المؤمنون. **ورابعها:** روي عن ابن عباس أنه قال: الولد الذي يلد، وما ولد الذي لا يلد، فما ههنا يكون للنفي، وعلى هذا لا بد عن إضمار الموصول أي (ووالد والذي ما ولد) وذلك لا يجوز عند البصريين. **وخامسها:** يعني كل والد ومولود، وهذا مناسب؛ لأن حرمة الخلق كلهم داخلة في هذا الكلام.

وأما قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، **ففيه مسائل:**

المسألة الأولى: في الكبد وجوه: **أحدها:** قال صاحب (الكشاف): إن الكبد أصله من قولك كِبد الرجل كبدًا فهو كبِدُ، إذا وجعت كبده وانتفخت، فاتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة، ومنه اشتقت المكابدة، وأصله كبَده إذا أصاب كبِده. وقال آخرون: الكبد شدة الأمر ومنه تكبد اللبن، إذا غلظ واشتد، ومنه الكبد لأنه دم يغلظ ويشتد، والفرق بين القولين أن الأول جُعل اسم الكبد موضوعًا للكبد، ثم اشتقت منه الشدة. وفي الثاني جعل اللفظ موضوعًا للشدة والغلظ، ثم اشتق منه اسم العضو. **الوجه الثاني:** أن الكبد هو الاستواء والاستقامة: **الوجه الثالث:** أن الكبد شدة الخلق والقوة.

إذا عرفت هذا فنقول: أما على الوجه الأول فيحتمل أن يكون المراد شدائد الدنيا فقط، وأن يكون المراد شدائد التكاليف فقط، وأن يكون المراد شدائد الآخرة فقط، وأن يكون المراد كل ذلك.

أما الأول: فقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ أي خلقناه أطوارًا كلها شدة ومشقة، تارة في بطن الأم، ثم زمان الإرضاع، ثم إذا بلغ ففي الكد في تحصيل المعاش، ثم بعد ذلك الموت.

وأما الثاني: -وهو الكبد في الدين- فقال الحسن: يكابد الشكر على السراء، والصبر على الضراء، ويكابد المحن في أداء العبادات.

وأما الثالث: -وهو الآخرة- فالموت ومساءلة الملك وظلمة القبر، ثم البعث والعرض على الله إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة وإما في النار.

وأما الرابع: وهو يكون اللفظ محمولاً على الكل فهو الحق، وعندي فيه وجه آخر، وهو أنه ليس في هذه الدنيا لذة البتة، بل ذاك يظن أنه لذة فهو خلاص عن الألم، فإن ما يتخيل من اللذة عند الأكل فهو خلاص عند ألم الجوع، وما يتخيل من اللذات عند اللبس فهو خلاص عن ألم الحر والبرد، فليس للإنسان، إلا ألم أو خلاص عن ألم وانتقال إلى آخر، فهذا معنى قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ ويظهر منه أنه لا بد للإنسان من البعث والقيامة؛ لأن الحكيم الذي دبر خلقة الإنسان إن كان مطلوبه منه أن يتألم، فهذا لا يليق بالرحمة، وإن كان مطلوبه أن لا يتألم ولا يلتذ، ففي تركه على العدم كفاية في هذا المطلوب، وإن كان مطلوبه أن يلتذ، فقد بينا أنه ليس في هذه الحياة لذة، وأنه خلق الإنسان في هذه الدنيا في كبد ومشقة ومحنة، فإذًا لا بد بعد

هذه الدار من دار أخرى؛ لتكون تلك الدار دار السعادات واللذات والكرامات.

وأما على الوجه الثاني: -وهو أن يفسر الكبد بالاستواء- فقال ابن عباس: في كبد، أي قائمًا منتصبًا، والحيوانات الأخر تمشي منكسة، فهذا امتنان عليه بهذه الخلقة.

وأما على الوجه الثالث: -وهو أن يفسر الكبد بشدة الخلقة- فقد قال الكلبي: نزلت هذه الآية في رجل من بني جمح يكنى أبا الأشد، وكان يجعل تحت قدميه الأديم العكاظي، فيجتذبونه من تحت قدميه فيتمزق الأديم ولم تَزُل قدماه، واعلم أن اللائق بالآية هو الوجه الأول.

المسألة الثانية: حرف في واللام متقاربان، تقول: إنما أنت للعناء والنصب، وإنما أنت في العناء والنصب. وفيه وجه آخر وهو أن قوله: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف، وفيه إشارة إلى ما ذكرنا أنه ليس في الدنيا إلا الكد والمحنة.

المسألة الثالثة: منهم من قال: المراد بالإنسان إنسان معين، وهو الذي وصفناه بالقوة، والأكثرون على أنه عام يدخل فيه كل أحد، وإن كنا لا نمنع من أن يكون ورد عند فعل فعله ذلك الرجل.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾

قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ اعلم أنا إن فسرنا الكبد بالشدة في القوة، فالمعنى أيحسب ذلك الإنسان الشديد أنه لشدته لا يقدر عليه أحد؟! وإن فسرنا بالمحنة والبلاء كان المعنى تسهيل ذلك على القلب، كأنه يقول: وهب أن الإنسان كان في النعمة والقدرة، أفيظن أنه في تلك الحالة لا يقدر عليه أحد؟ ثم اختلفوا فقال بعضهم: لن يقدر على بعثه ومجازاته فكأنه خطاب مع من أنكر البعث. وقال آخرون: المراد لن يقدر على تغيير أحواله ظنًّا منه أنه قوي على الأمور لا يدافع عن مراده، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ استفهام على سبيل الإنكار.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ قال أبو عبيدة: لبد: فُعَل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض، قال الزجاج: فُعَل للكثرة، يقال: رجل حُطَم، إذا كان كثير الحطم. قال الفراء: واحدته لُبْدة ولُبَد جمع وجعله بعضهم واحدًا، ونظيره قُسَم، وحُطَم وهو في الوجهين جميعًا الكثير، قال الليث: مال لُبَد: لا يُخاف فناؤه من كثرته. وقد ذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾[الجن: ١٩] والمعنى أن هذا الكافر يقول: أهلكت في عداوة محمد مالاً كثيرًا، والمراد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونه مكارم، ويدعونه معالي ومفاخر.

ثم قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ فيه وجهان: **الأول:** قال قتادة: أيظن أن الله لم يره ولم يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ **الثاني:** قال الكلبي: كان كاذبًا، لم ينفق شيئًا، فقال الله

تعالى: أيظن أن الله تعالى ما رأى ذلك منه، فعل أو لم يفعل، أنفق أو لم ينفق، بل رآه وعلم منه خلاف ما قال. واعلم أنه تعالى لما حكى عن ذلك الكافر قوله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥] أقام الدلالة على كمال قدرته فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ وعجائب هذه الأعضاء مذكورة في كتب التشريح، قال أهل العربية: النجد: الطريق في ارتفاع، فكأنه لما وضحت الدلائل جُعلت كالطريق المرتفعة العالية بسبب أنها واضحة للعقول كوضوح الطريق العالي للأبصار، وإلى هذا التأويل ذهب عامة المفسرين في النجدين وهو أنهما سبيلا الخير والشر، وعن أبي هريرة أنه عليه السلام قال: «**إنما هما النجدان، نجد الخير ونجد الشر، ولا يكون نجد الشر أحب إلى أحدكم من نجد الخير**» وهذه الآية كالآية في ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ إلى قوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١-٣] وقال الحسن: قال: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ فمن الذي يحاسبني عليه؟ فقيل: الذي قدر على أن يخلق لك هذه الأعضاء قادر على محاسبتك. وروي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب أنهما الثديان. ومن قال ذلك ذهب إلى أنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه، والله تعالى هدى الطفل الصغير حتى ارتضعهما، قال القفال: والتأويل هو الأول. ثم قرر وجه الاستدلال به فقال: إن من قدر على أن يخلق من الماء المهين قلبًا عقولاً ولسانًا قؤولاً، فهو على إهلاك ما خلق قادر، وبما يخفيه المخلوق عالم، فما العذر في الذهاب عن هذا مع وضوحه وما الحجة في الكفر بالله من تظاهر نعمه؟ وما العلة في التعزيز على الله وعلى أنصار دينه بالمال وهو المعطي له، وهو الممكّن من الانتفاع به.

ثم إنه سبحانه وتعالى دل عباده على الوجوه الفاضلة التي تنفق فيها الأموال، وعَرَّف هذا الكافر أن إنفاقه كان فاسدًا وغير مفيد، فقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاقتحام: الدخول في الأمر الشديد، يقال: قحم يقحم قحومًا، واقتحم اقتحامًا وتقحم تقحمًا، إذا ركب القحم، وهي المهالك والأمور العظام. والعقبة: طريق في الجبل، وَعْرٌ، الجمع العقب والعقاب، ثم ذكر المفسرون في العقبة ههنا وجهين: الأول: أنها في الآخرة وقال عطاء: يريد عقبة جهنم. وقال الكلبي: هي عقبة بين الجنة والنار، وقال ابن عمر: هي جبل زلال في جهنم. وقال مجاهد والضحاك: هي الصراط يُضرب على جهنم. وهو معنى قول الكلبي: إنها عقبة الجنة والنار. قال الواحدي: وهذا تفسير فيه نظر لأن من المعلوم أن (بَنِي) هذا الإنسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها، فحَمْل الآية عليه يكون إيضاحًا للواضحات، ويدل عليه أنه لما قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ [البلد: ١٢] فسره بفك الرقبة وبالإطعام. الوجه الثاني في تفسير العقبة: هو أن ذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر، وهو قول الحسن ومقاتل قال الحسن: عقبة الله شديدة وهي مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس والجن. وأقول: هذا التفسير هو الحق لأن الإنسان يريد أن يترقى من عالم الحس والخيال إلى يفاع عالم الأنوار الإلهية ولا شك أن بينه وبينها عقبات سامية دونها صواعق حامية، ومجاوزتها صعبة والترقي إليها شديد.

المسألة الثانية: أن في الآية إشكالاً وهو أنه قلما توجد (لا) الداخلة على المضي إلا مكررة، تقول: (لا جنبني ولا بعدني) قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]وفي هذه الآية ما جاء التكرير فما السبب فيه؟ أجيب عنه من وجوه: **الأول**:قال الزجاج: إنها متكررة في المعنى لأن معنى ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينًا، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك، وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد: ١٧]يدل أيضًا على معنى ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ ولا آمن. **الثاني**: قال أبو علي الفارسي: معنى ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ لم يقتحمها، وإذا كانت (لا) بمعنى (لم) كان التكرير غير واجب كما لا يجب التكرير مع (لم)، فإن تكررت في موضع نحو ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ فهو كتكرر (ولم): نحو ﴿لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧].

المسألة الثالثة: قال القفال: قوله: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ أي هلا أنفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة؟ وأما الباقون فإنهم أجروا اللفظ على ظاهره، وهو الإخبار بأنه ما اقتحم العقبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ فلا بد من تقدير محذوف؛ لأن العقبة لا تكون فك رقبة، فالمراد وما أدراك ما اقتحام العقبة، وهذا تعظيم لأمر التزام الدين:

ثم قال تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ والمعنى أن اقتحام العقبة هو الفك أو الإطعام، **وفيه مسائل**:

المسألة الأولى: الفك فرق يزيل المنع كفكّ القيد والغل، وفك الرقبة فرق بينها وبين صفة الرق بإيجاب الحرية وإبطال العبودية، ومنه فك الرهن وهو إزالة غلق الرهن، وكل شيء أطلقته فقد فككته، ومنه فك الكتاب، قال الفراء: في المصادر فكها يفكها فكاكًا بفتح الفاء في المصدر ولا تقل بكسرها، ويقال: كانت عادة العرب في الأسارى شد رقابهم وأيديهم، فجرى ذلك فيهم وإن لم يشدد، ثم سمي إطلاق الأسير فكاكًا، قال الأخطل:

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا ... قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَا الْأَغْلَالاَ(١)

المسألة الثانية: فك الرقبة قد يكون بأن يعتق الرجل رقبة من الرق، وقد يكون بأن يعطي مكاتبًا ما يصرفه إلى جهة فكاك نفسه، روى البراء بن عازب قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: «**عِتْقُ النَّسَمَةِ وَفَكُّ الرَّقَبَةِ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أو ليسا وَاحِدًا؟ قَالَ: «**لاَ، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَنْفَرِدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي ثَمَنِهَا**»(٢) وفيه وجه آخر وهو أن يكون المراد أن يفك المرء رقبة نفسه بما يتكلفه من

---

(١) تقدمت ترجمة الأخطل.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في (مسنده) (٤/ ٢٩٩) والحاكم في (المستدرك) (٢/ ٢٣٦) حديث رقم (٢٣٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وابن حبان في (صحيحه) (٢/ ٩٧) حديث رقم (٣٧٤) والبخاري في (الأدب المفرد) (١/ ٣٨) حديث رقم (٦٩) جميعًا من طريق طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب . . . به.

العبادة التي يصير بها إلى الجنة فهي الحرية الكبرى، ويتخلص بها من النار.

المسألة الثالثة: قرئ: (فك رقبة أو إطعام)، والتقدير هي فك رقبة أو إطعام وقرئ: (فك رقبة أو أطعم) على الإبدال من اقتحم العقبة، وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ اعتراض، قال الفراء: وهو أشبه الوجهين بصحيح العربية لقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ [البلد: ١٦]لأن فك وأطعم فعل، وقوله: ﴿كَانَ﴾ فعل، وينبغي أن يكون الذي يعطف عليه الفعل فعلاً، أما لو قيل: ثم إن كان كان ذلك مناسبًا لقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بالرفع لأنه يكون عطفًا للاسم على الاسم.

المسألة الرابعة: عند أبي حنيفة العتق أفضل أنواع الصدقات، وعند صاحبيه الصدقة أفضل، والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقدم العتق على الصدقة فيها.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: يقال: سغب سغبًا، إذا جاع فهو ساغب وسغبان، قال صاحب (الكشاف): المسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب، يقال: فلان ذو قرابتي وذو مقربتي، وترب إذا افتقر، ومعناه التصق بالتراب، وأما أترب فاستغنى، أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة. قال الواحدي: المتربة مصدر من قولهم: (ترب يترب تربًا ومتربة) مثل مسغبة إذا افتقر حتى لصق بالتراب.

المسألة الثانية: حاصل القول في تفسير: ﴿يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ ما قاله الحسن: وهو نائم يوم محروص فيه على الطعام. قال أبو علي: ومعناه ما يقول النحويون في قولهم: ليل نائم ونهار صائم، أي ذو نوم وصوم.

واعلم أن إخراج المال في وقت القحط والضرورة أثقل على النفس وأوجب للأجر، وهو كقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]وقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا﴾ [الإنسان: ٨]وقرأ الحسن: (ذَا مَسْغَبَةٍ) نصبه بإطعام ومعناه أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة.

أما قوله تعالى:﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾ قال الزجاج: ذا قرابة، تقول: زيد ذو قرابتي وذو مقربتي، و(زيد قرابتي) قبيح لأن القرابة مصدر. قال مقاتل: يعني يتيمًا بينه وبينه قرابة، فقد اجتمع فيه حقان يتم وقرابة، فإطعامه أفضل، وقيل: يدخل فيه القرب بالجوار كما يدخل فيه القرب بالنسب.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

أما قوله تعالى: ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ أي مسكينًا قد لصق بالتراب من فقره وضره، فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه، روي أن ابن عباس مر بمسكين لاصق بالتراب فقال: هذا الذي

قال الله تعالى (فيه): ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ واحتج الشافعي بهذه الآية على أن المسكين قد يكون بحيث يملك شيئًا؛ لأنه لو كان لفظ المسكين دليلاً على أنه لا يملك شيئًا ألبتة، لكان تقييده بقوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ تكريرًا وهو غير جائز.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي كان مقتحم العقبة من الذين آمنوا، فإنه إن لم يكن منهم لم ينتفع بشيء من هذه الطاعات، ولا مقتحمًا للعقبة. **فإن قيل:** لما كان الإيمان شرطًا للانتفاع بهذه الطاعات وجب كونه مقدمًا عليها، فما السبب في أن الله تعالى أخره عنها بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؟ **والجواب من وجوه: أحدها:** أن هذا التراخي في الذكر لا في الوجود، كقوله:

إنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ

لم يرد بقوله: ثم ساد أبوه التأخر في الوجود، وإنما المعنى: ثم اذكر أنه ساد أبوه. كذلك في الآية. **وثانيها:** أن يكون المراد: ثم كان في عاقبة أمره من الذين آمنوا وهو أن يموت على الإيمان، فإن الموافاة شرط الانتفاع بالطاعات. **وثالثها:** أن من أتى بهذه القرب تقربًا إلى الله تعالى قبل إيمانه بمحمد ﷺ ثم آمن بعد ذلك بمحمد عليه الصلاة والسلام، فعند بعضهم أنه يثاب على تلك الطاعات، قالوا: ويدل عليه ما روي أن حكيم بن حزام بعدما أسلم قال لرسول الله ﷺ: إنا كنا نأتي بأعمال الخير في الجاهلية فهل لنا منها شيء؟ فقال عليه السلام: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا قَدَّمْتَ مِنَ الْخَيْرِ**»[1] **ورابعها:** أن المراد من قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لأن درجة ثواب الإيمان أعظم بكثير من درجة ثواب سائر الأعمال.

أما قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ فالمعنى أنه كان يوصي بعضهم بعضًا بالصبر على الإيمان والثبات عليه، أو الصبر على المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن، ثم ضم إليه التواصي بالمرحمة وهو أن يحث بعضهم بعضًا على أن يرحم المظلوم أو الفقير، أو يرحم المُقْدم على منكر فيمنعه منه لأن كل ذلك داخل في الرحمة، وهذا يدل على أنه يجب على المرء أن يدل غيره على طريق الحق ويمنعه من سلوك طريق الشر والباطل ما أمكنه، واعلم أن قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ... بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ يعني يكون مقتحم العقبة من هذه الزمرة والطائفة، وهذه الطائفة هم أكابر الصحابة كالخلفاء الأربعة وغيرهم، فإنهم كانوا مبالغين في الصبر على شدائد الدين والرحمة على الخلق.

وبالجملة فقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله، ومدار أمر الطاعات ليس إلا على هذين الأصلين، وهو الذي

---

(١) أورده النسابوري في (غريب القرآن) (٦/ ٥٠٤).

قاله بعض المحققين: إن الأصل في التصوف أمران: صدق مع الحق، وخُلُق مع الخَلْق.

ثم إنه سبحانه لما وصف هؤلاء المؤمنين بيّن أنهم من هم في القيامة فقال:

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ وإنما ذكر ذلك لأنه تعالى بيّن حالهم في سورة الواقعة وأنهم ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ [الواقعة: ٢٨، ٢٩] قال صاحب (الكشاف): الميمنة والمشأمة: اليمين والشمال، أو اليمن والشؤم، أي الميامين على أنفسهم والمشائيم عليها.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ فقيل: المراد من يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره، وقد تقدم وصف الله لهم بأنهم ﴿فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣﴾ [الواقعة: ٤٢-٤٣] إلى غير ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ٢٠﴾، **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: قال الفراء والزجاج والمبرد: يقال: آصدت الباب وأوصدته، إذا أغلقته، فمن قرأ (مؤصدة) بالهمزة أخذها من آصدت فهمز اسم المفعول، ويجوز أن يكون من أوصدت ولكنه همز على لغة من يهمز الواو وإذا كان قبلها ضمة نحو مؤسى، ومن لم يهمز احتمل أيضًا أمرين:

أحدهما: أن يكون من لغة من قال: (أوصدت) فلم يهمز اسم المفعول كما يقال: من أوعدت موعد.

الآخر: أن يكون من آصد مثل آمن، ولكنه خُفف كما في تخفيف جؤنة وبؤس جونة وبوس، فيقلبها في التخفيف واوًا، قال الفراء: ويقال من هذا: الأصيد والوصيد، وهو الباب المطبق.

إذا عرفت هذا فنقول: قال مقاتل: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ يعني أبوابها مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها رَوْح أبد الآباد. وقيل: المراد إحاطة النيران بهم، كقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

المسألة الثانية: ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ هي الأبواب، وقد جرت صفة للنار على تقدير: عليهم نار مؤصدة الأبواب، فكلما تركت الإضافة عاد التنوين لأنهما يتعاقبان.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة «البلد»

مكية باتفاق . وهي عشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾

يجوزُ أن تكونَ «لا» زائدةً، كما تقدَّم في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ قاله الأخفش. أي: أُقسم؛ لأنه قال: ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ وقد أَقْسَم به في قوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] فكيف يَجْحَد القسم به وقد أَقْسَم به. قال الشاعر:

تَذَكَّرتُ ليلَى فاعْتَرتْني صَبابةٌ وكاد صميمُ القلبِ لا يَتقطَّعُ[(١)]

أي: يتقطَّعُ، ودخل حرفُ «لا» صلةً، ومنه قولُه تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] بدليل قوله تعالى في «صَ»: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ [الآية: ٧٥].

وقرأ الحسنُ والأعمشُ وابنُ كثير: «لَأُقْسِم» من غيرِ ألفٍ بعد اللام إثباتاً[(٢)].

وأجاز الأخفشُ أيضاً أن تكون بمعنى «أَلَا»[(٣)].

وقيل: ليستْ بنفي القَسَم، وإنَّما هو كقولِ العربِ: لا واللهِ لا فعلتُ كذا، ولا واللهِ ما كان كذا، ولا واللهِ لأَفْعَلَنَّ كذا.

وقيل: هي نفيٌ صحيحٌ، والمعنى: لا أقسمُ بهذا البلدِ إذا لم تكن فيه، بعد خروجك منه. حكاه مكِّيٌّ. ورواه ابنُ أبي نَجِيحٍ عن مجاهد قال: «لا» ردٌّ عليهم[(٤)]،

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٢١ وفيه: ضمير، بدل: صميم، وسلف ٢١/ ٤٠٤ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٢١ ، وذكرها عن الحسن ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٦١ ، والمشهور عن ابن كثير في هذه الآية كقراءة الجماعة، وينظر ما سلف ٢١/ ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(٣) ذكره عن الأخفش النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٢٧ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢٧ .

وهذا اختيارُ ابنِ العربيِّ؛ لأنه قال: وأمَّا مَن قال: إنها رَدٌّ، فهو قولٌ ليس له ردٌّ؛ لأنه يصحُّ به المعنى، ويتمكَّن اللفظُ والمراد. فهو ردٌّ لكلامِ مَن أنْكَر البعثَ ثم ابتدأ القسم(١).

وقال القشيرِيُّ: قولهُ «لا»: ردٌّ لمَا تَوهَّم الإنسانُ المذكورُ في هذه السورة، المغرورُ بالدنيا. أي: ليس الأمرُ كما يَحْسَبُه، مِن أنَّه لن يقدرَ عليه أحدٌ، ثم ابتدأ القسم.

و«البلد»: هي مكة، أجمعوا عليه. أي: أُقسِمُ بالبلد الحرامِ الذي أنت فيه، لكرامتك عليَّ وحبِّي لك. وقال الواسطيُّ: أي: نحلفُ لك بهذا البلد الذي شَرَّفْتَه بمكانكَ فيه حيًّا، وببركتِكَ ميتاً، يعني المدينة. والأوّلُ أصح؛ لأنَّ السورةَ نزلت بمكةَ باتِّفاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾

يعني في المستقبل، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. ومثلُه واسعٌ في كلام العِبَاد(٢)؛ تقولُ لمَن تَعِدُه الإكرامَ والحِباءَ: أنت مُكرمٌ مَحْبُوٌّ. وهو في كلام اللهِ أوسَعُ(٣)، لأنَّ الأحوال المستقبَلَةَ عنده كالحاضرة المشاهَدَة؛ وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال، وأنَّ تفسيره بالحالِ مُحالٌ: أنَّ السورة بالاتِّفاق مكيةٌ قبلَ الفتح. فروى منصورٌ عن مجاهد: «وأنتَ حِلٌّ» قال: ما صنعت فيه من شيءٍ فأنت في حِلٍّ. وكذا قال ابن عباس: أُحِلَّ له يومَ دخل مكةَ أن يقتلَ مَن شاء، فقتل ابنَ خَطَلٍ ومِقْيس بنَ صبَابةَ وغيرَهما. ولم يَحِلَّ لأحدٍ من الناس أن يقتلَ بها أحداً بعد رسول الله ﷺ(٤). وروى السُّديُّ قال: أنت في حِلٍّ ممن قاتلك أن تقتله. وروى أبو

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٢١ و١٩٢٢ .

(٢) في (د) و(م): العرب، والمثبت من باقي النسخ والكشاف ٤/ ٢٥٥ ، والكلام منه.

(٣) في النسخ: واسع، والمثبت من الكشاف.

(٤) أخرج قول ابن عباس ومجاهد الطبري ٢٤/ ٤٠٣-٤٠٤ .

صالح عن ابن عباس قال: أُحِلَّتْ له ساعةً من نهار، ثم أُطبقتْ وحرِّمتْ إلى يوم القيامة، وذلك يومَ فتحِ مكةَ.

وثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الله حرَّم مكةَ يومَ خَلَق السماواتِ والأرضَ، فهي حَرامٌ إلى أن تقومَ الساعةُ، فلمْ تَحِلَّ لأحدٍ قَبْلي، ولا تَحِلُّ لأحدٍ بعدي، ولم تَحِلَّ لي إلَّا ساعةً من نهار» الحديث(١). وقد تقدَّم في سورة «المائدة»(٢).

ابن زيد: لم يكن بها أحدٌ حَلالاً غير النبيِّ ﷺ(٣).

وقيل: وأنت مُقيمٌ فيه وهو مَحلُّك. وقيل: وأنت فيه مُحْسِنٌ، وأنا عنك فيه راضٍ. وذَكَرَ أهلُ اللغةِ أنه يقال: رجلٌ حِلٌّ وحَلالٌ ومُحِلٌّ، ورجلٌ حَرَامٌ ومُحْرِمٌ وحِرْمٌ(٤). وقال قتادةُ: أنت حِلٌّ به لَستَ بآثم(٥).

وقيل: هو ثناءٌ على النبيِّ ﷺ، أي: إنك غيرُ مرتكبٍ في هذا البلدِ ما يَحرُمُ عليك ارتكابُه؛ معرفةً منك بحقِّ هذا البيتِ، لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفرَ بالله فيه. أي: أُقسِمُ بهذا البيتِ المعظَّم الذي قد عَرَفْتَ حُرْمتَه، فأنتَ مقيمٌ فيه معظِّمٌ له، غير مرتكِبٍ فيه ما يحرُمُ عليك.

وقال شُرَحْبِيل بن سعد: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أي: حلالٌ، أي: هم يحرِّمون مكةَ أن يقتلوا بها صيداً أو يَعضِدوا بها شجرةً، ثم هم مع هذا يَسْتحلُّون إخراجَك وقتلَك(٦).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٣)، والبخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه أحمد (٧٢٤٢)، والبخاري (١١٢)، ومسلم (١٣٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) سلف في سورة البقرة ٢/ ٣٨٣-٣٨٤، وينظر ٨/ ٢٢١.

(٣) أخرجه مطولاً الطبري ٢٤/ ٤٠٥.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٢٧.

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٣، والطبري ٢٤/ ٤٠٤-٤٠٥.

(٦) الكشاف ٤/ ٢٥٥، وتفسير البغوي ٤/ ٤٨٨، وأخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٢.

قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾

قال مجاهدٌ وقتادةُ والضحاكُ والحسنُ وأبو صالح: «وَوَالِدٍ»: آدم عليه السلام. «وما وَلَدَ» أي: وما نَسَلَ مِن وَلَدِه[١]. أَقْسَم بهم لأنهم أعْجَبُ ما خَلَقَ اللهُ تعالى على وَجْهِ الأرض؛ لمَا فيهم من التِّبيان[٢] والنُّطْقِ والتدبير، وفيهم الأنبياءُ والدُّعاةُ إلى الله تعالى.

وقيل: هو إقسامٌ بآدم والصالحين من ذريته، وأمَّا غيرُ الصالحين فكأنهم بهائم.

وقيل: الوالدُ إبراهيم. وما وَلَد: ذرِّيتُه؛ قاله أبو عمران الجونيُّ[٣]، ثم يحتملُ أنه يريد جميعَ ذرِّيتِه، ويحتملُ أنه يريدُ المسلمين من ذريته.

قال الفرَّاء: وصَلحَتْ «ما» للناس، كقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء:٣]، وكقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [الليل:٣] وهو الخالقُ للذَّكرِ والأنثى.

وقيل: «ما» مع ما بعدَها في موضع المصدر؛ أي: ووالدٍ ووِلادته، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس:٥][٤].

وقال عكرمة وسعيد بن جُبير: «ووالدٍ» يعني الذي يُوْلَدُ له، «وما ولد» يعني العاقرَ الذي لا يُولدُ له ـ وقاله ابن عباس[٥]. و«ما» على هذا نفيٌ. وهو بعيدٌ، ولا يصحُّ إلَّا بإضمارِ الموصول، أي: ووالدٍ والذي ما وَلَد، وذلك لا يجوزُ عند البصريين[٦].

وقيل: هو عمومٌ في كلِّ والدٍ وكلِّ مولودٍ؛ قاله عطيةُ العَوفيُّ. ورُوِي معناه عن ابن عباس أيضاً[٧]. وهو اختيارُ الطبريِّ[٨].

---

(١) أخرج قولهم الطبري ٢٤/٤٠٦-٤٠٧.

(٢) في (ظ) و(ي): البيان.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/٤٠٨.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٤.

(٥) تفسير الطبري ٢٤/٤٠٦ عن ابن عباس وعكرمة.

(٦) تفسير الرازي ٣١/١٨٢.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/٤٠٦ من طريق عطية عن ابن عباس.

(٨) في التفسير ٢٤/٤٠٨.

قال الماوَرْديُّ[١]: ويحتملُ أنَّ الوالد النبيُّ ﷺ؛ لتقدُّم ذِكْرِه. وما وَلَد أمَّتُه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّما أنا لكم بمنزلةِ الوالدِ أُعلِّمكم»[٢]. فأقسم به وبأمَّته بعد أن أقْسَم ببلده؛ مبالغةً في تشريفه عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾

إلى هنا انتهى القَسَم، وهذا جوابُه. ولله أن يُقسِمَ بما يشاء من مخلوقاته لتعظيمها، كما تقدَّم. والإنسانُ هنا ابنُ آدم. ﴿فِى كَبَدٍ﴾ أي: في شدَّةٍ وعناءٍ من مُكابدة الدنيا. وأصلُ الكَبَدِ: الشدَّةُ. ومنه: تَكَبَّد اللَّبَنُ: غَلُظَ وخَثُر واشتدَّ. ومنه الكَبِد؛ لأنَّه دمٌ تَغلَّظ واشتدَّ[٣]. ويقال: كابَدْتُ هذا الأمر: قاسَيْتُ شدَّته، قال لَبيد:

يا عينُ هلَّا بَكَيْتِ أرْبدَ إذْ ... قُمْنا وقام الخصومُ في كَبَدِ[٤]

قال ابن عباس والحسن: «في كَبَد» أي: في شدَّةٍ ونَصَب. وعن ابن عباس أيضاً: في شدَّةٍ من حَمْلِه ووِلَادتِه ورضاعِه ونَبْتِ أسنانِه، وغيرِ ذلك من أحواله[٥]. وروى عكرمةُ عنه قال: منتصباً في بَطْنِ أمِّه[٦]. والكَبَدُ: الاستواءُ والاستقامةُ. فهذا امتنانٌ عليه في الخِلْقة. ولم يَخْلقِ الله جلَّ ثناؤه دابةً في بطن أمِّها إلَّا مُنْكَبَّةً على وجهها إلا ابنَ آدم، فإنه منتصبٌ انتصاباً. وهو قولُ النخَعيِّ ومجاهدٍ وغيرِهما.

ابنُ كيسان: منتصباً رأسُه في بطن أمِّه، فإذا أذِنَ الله أن يخرجَ من بطن أمِّه قَلَبَ رأسَه إلى رجلَيْ أمِّه[٧].

(١) في النكت والعيون ٦/ ٢٧٥ .

(٢) سلف ١٧/ ٦٦ .

(٣) تفسير الرازي ٣١/ ١٨٢ .

(٤) ديوان لبيد ص١٦٠، وأربد هو أخو لبيد، وقد سلفت قصته مع البيت ١٢/ ٣٦-٣٧ .

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٠٨-٤١٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٨٨ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٣ . وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٧٥ عن عكرمة وابن عباس بلفظ: في انتصابٍ في بطن أمه وبعد ولادته، ولم يخلق غيره من الحيوان منتصباً.

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٤٨٨ .

وقال الحسن: يُكابِد مصائبَ الدنيا وشدائدَ الآخرة[١].

وعنه أيضاً: يكابدُ الشُّكْرَ على السَّرَّاءِ، ويكابدُ الصَّبرَ على الضَّرَّاء؛ لأنه لا يخلو من أحدهما. ورواه ابن عمر[٢].

وقال يَمانٌ: لم يَخْلُقِ الله خَلْقاً يكابِدُ ما يكابِدُ ابنُ آدمَ؛ وهو مع ذلك أضعفُ الخَلْقِ[٣].

قال عُلماؤنا: أولُ ما يكابدُ قَطْعَ سُرَّته، ثم إذا قُمِطَ قِماطاً، وشدَّ رِباطاً، يكابدُ الضِّيقَ والتَّعبَ، ثم يكابدُ الارْتِضاعَ، ولو فاته لضاع، ثم يكابدُ نَبْتَ أسنانِه، وتحرُّكَ لسانِه، ثم يكابدُ الفِطامَ الذي هو أشدُّ من اللِّطام، ثم يكابدُ الختانَ، والأوجاعَ والأحزانَ، ثم يكابدُ المُعَلِّم وصَوْلَتَه، والمؤدِّبَ وسياستَه، والأستاذَ وهَيبتَه، ثم يكابدُ شُغْلَ التَّزْويجِ والتعجيل فيه[٤]، ثم يكابدُ شُغْلَ الأولادِ، والخدمِ والأجناد، ثم يكابدُ شغلَ الدُّورِ وبناءَ القصور. ثم الكِبرَ والهَرَمَ وضَعْفَ الرُّكْبَةِ والقدم، في مصائبَ يكثرُ تعدادُها، ونوائبَ يطولُ إيرادُها، من صُداعِ الرأس، ووجعِ الأضْراسِ، ورَمَدِ العين، وغَمِّ الدَّين، ووجعِ السِّنِّ، وأَلَمِ الأُذُنِ. ويكابِدُ مِحَناً في المالِ والنَّفْس، مثل الضَّربِ والحَبْس، ولا يمضي عليه يومٌ إلَّا يُقاسي فيه شدَّةً، ولا يكابدُ إلَّا مَشَقَّةً، ثم الموتُ بعد ذلك كلِّه، ثم مُساءلةُ المَلَكِ، وضَغطةُ القبرِ وظلمتُهُ، ثم البعثُ والعَرْضُ على الله، إلى أنْ يستقرَّ به القرارُ، إمَّا في الجنة وإمَّا في النار؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، فلو كان الأمرُ إليه لَمَا اختار هذه الشدائد. ودلَّ هذا على أنَّ له خالقاً دبَّره، وقضى عليه بهذه الأحوال، فلْيَمْتثِلْ أمرَه.

وقال ابن زيد: الإنسانُ هنا: آدمُ، وقولُه: «في كَبَدٍ» أي: في وَسَطِ السماء[٥].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٨٨ ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٣١)، والطبري ٢٤/ ٤٠٩ .

(٢) تفسير الرازي ٣١/ ١٨٣ عن الحسن، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٦ عن ابن عمر.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٨٨ .

(٤) بعده في النسخ الخطية: والتزويج.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢٧٦ ، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٤١٢ .

وقال الكَلْبيُّ: إنَّ هذا نزل في رجلٍ من بني جُمَحَ، كان يقال له: أَبُو الأشدّين، وكان يأخذُ الأديمَ العُكاظِيَّ فيجعلُه تحت قدميه، ويقولُ: مَن أزالني عنه فله كذا. فيجذبهُ عشرةٌ حتى يتمزَّق ولا تزولُ قدماه، وكان من أعداء النبيِّ ﷺ، وفيه نزل: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يعني: لقوَّته[1]. وروي عن ابن عباس. ومعنى «في كَبَدٍ» أي: شديداً، يعني شديدَ الخَلْقِ، وكان مِن أشدِّ رجالِ قريش. وكذلك رُكانةُ بنُ هاشم ابنِ عبد المطلب، وكانا مَثَلاً في البأس والشدَّة.

وقيل: «في كَبَدٍ» أي: جريء القلب، غليظ الكَبِد، مع ضَعْفِ خِلْقتِه، ومهانةِ مادَّته. ابن عطاء: في ظلمةٍ وجهلٍ. الترمذيُّ: مُضِيعاً ما يَعْنيه، مُشْتغِلاً بما لا يَعْنيه.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ أي: أَيظُنُّ ابنُ آدمَ أنْ لن يُعاقِبَه الله عزَّ وجلَّ. ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ أي: أنفقتُ ﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: كثيراً مجتمعاً ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أي: أيظنُّ ﴿أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ﴾ أي: أنْ لم يُعايِنْه ﴿أَحَدٌ﴾. بل عَلِمَ الله عزَّ وجلَّ ذلك منه، فكان كاذباً في قوله: أهْلَكتُ، ولم يكن أنفقَه.

وروى أبو هريرةَ قال: يوقفُ العبدُ، فيقال: ماذا عَمِلْتَ في المال الذي رزقتُك؟ فيقول: أنفقتُه وزكّيتُه. فيقال: كأنك إنَّما فعلتَ ذلك ليقال سَخِيٌّ، فقد قيل ذلك. ثم يؤمرُ به إلى النار[2].

وعن سعيد عن قتادة: إنَّك مسؤولٌ عن مالِكَ من أينَ جمعتَ؟ وكيف أنفقت[3]؟

وعن ابن عباس قال: كان أبو الأشدّين يقول: أنفقتُ في عداوة محمدٍ مالاً

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٤، والوسيط ٤/ ٤٨٩، وتفسير البغوي ٤/ ٤٨٨-٤٨٩.

(٢) أخرجه أحمد (٨٢٧٧)، ومسلم (١٩٠٥) مطولاً من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً، وسلف ١/ ٣٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٣، والطبري ٢٤/ ٤١٤.

كثيراً، وهو في ذلك كاذب[١].

وقال مقاتل: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل، أَذْنَبَ فاستَفْتَى النبيَّ ﷺ، فأَمَره أن يُكَفِّر. فقال: لقد ذهب مالي في الكفَّارات والنفقات منذ دخلتُ في دِين محمدٍ[٢]. وهذا القولُ منه يحتملُ أن يكونَ استطالةً بما أنفقَ، فيكونُ طغياناً منه. أو أسفاً عليه، فيكونُ ندماً منه.

وقرأ أبو جعفر: «مالاً لُبَّداً» بتشديد الباءِ مفتوحةً[٣]، على جمعِ: لابِدٍ، مثل: راكعٍ ورُكَّع، وساجدٍ وسُجَّد، وشاهد وشُهَّد، ونحوه.

وقرأ مجاهد وحُمَيد بضمِّ الباءِ واللام مخفَّفاً، جمع لَبُود[٤]. الباقون بضمِّ اللامِ وكَسْرِها وفتح الباءِ مخفَّفاً، جمع لُبْدَةٍ ولِبْدَةٍ، وهو ما تَلبَّد، يريدُ الكَثْرة[٥]. وقد مضى في سورة الجن القولُ فيه[٦].

وروي عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقرأ: «أَيَحسب» بضم السين في الموضعين[٧].

وقال الحسن: يقولُ: أتلفتُ مالاً كثيراً، فَمَن يحاسبني به، دعني أحسبه. أَلَمْ يعلم أنَّ الله قادر على مُحاسبته، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ يرى صنيعه[٨].

---

(١) الوسيط ٤/ ٤٨٩-٤٩٠ عن الكلبي ومقاتل، وذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٦٤ دون نسبة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ ، وزاد المسير ٩/ ١٢٩ .

(٣) النشر ٢/ ٤٠١ .

(٤) القراءات الشاذة ص١٧٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ .

(٥) الكشاف ٤/ ٢٥٦ ، وقراءة الجمهور (لُبَداً) بضم اللام وفتح الباء.

(٦) عند تفسير الآية (١٩) منها.

(٧) لم نقف على هذه الرواية بضم السين، وأخرج أبو عمر الدوري في جزء قراءات النبي ﷺ (١٢٨) من طريق رجل من بني عامر عن أبيه قال: صليت خلف النبي ﷺ فقرأ: «أيحسِب أن لن يقدر عليه أحد» مكسورة السين. وأخرجه أبو يعلى شاهداً على القراءة بفتح السين كما ذكر الحافظ في المطالب العالية ٣/ ٣٩٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٥٧ . وقد قرأ بكسر السين نافع وابن عامر والكسائي، والباقون بفتحها. السبعة ص١٩١-١٩٢ ، والتيسير ص٨٤ .

(٨) ذكره بنحوه الرازي ٣١/ ١٨٤ .

ثم عَدَّد عليه نعمَه فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يُبْصِرُ بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ يَنْطِقُ به. ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستُر بهما ثغرَه. والمعنى: نحن فَعَلنا ذلك، ونحن نقدرُ على أنْ نبعثَه ونُحصِيَ عليه ما عَمِلَه.

وقال أبو حازم: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله تعالى قال: يا ابنَ آدمَ، إنْ نازَعَكَ لسانُكَ فيما حرَّمْتُ عليك، فقد أعنتُكَ عليه بِطِبْقَين فأَطْبِقْ، وإنْ نازَعَكَ بَصَرُكَ فيما حرَّمتُ عليك، فقد أعنتُكَ عليه بِطِبْقَينِ فأَطْبِقْ، وإن نازعَكَ فَرْجُكَ إلى ما حرَّمتُ عليك، فقد أعنتُكَ عليه بِطِبْقَينِ، فأَطْبِقْ»[١].

والشَّفَةُ: أصلُها شَفَهةٌ، حُذفت منها الهاء، وتصغيرُها: شُفَيهة، والجمع: شِفاهٌ. ويقال: شَفَهات وشَفَوات، والهاء أَقْيَسُ، والواوُ أعمُّ، تشبيهاً بالسَّنوات. وقال الأزهريُّ[٢]: يقال: هذه شَفَةٌ ـ في الوصل ـ وشَفَهٌ، بالتاء والهاء.

وقال قتادة: نِعَمُ الله ظاهرةٌ، يقرِّرك بها حتى تشكر[٣].

قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

يعني الطريقين: طريق الخير وطريق الشرِّ. أي: بيَّناهما له بما أرسلنا من الرسُل. والنَّجْدُ: الطريقُ في ارتفاع. وهذا قولُ ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ وغيرهما[٤]. وروى قتادةُ قال: ذُكِر لنا أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول: «يا أيُّها الناسُ، إنَّما هما النَّجْدان: نجدُ الخيرِ، ونجدُ الشرِّ، فلِمَ تجعلُ نَجْدَ الشرِّ أحبَّ إليكَ من نَجْدِ الخيرِ؟!»[٥].

(١) الوسيط ٤/ ٤٩٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٨٩ ، وأخرجه بنحوه ابن عساكر في تاريخه ٦٦/ ٢٢٩ من طريق مكحول عن النبي ﷺ.

(٢) في تهذيب اللغة ٦/ ٨٦ ، وما قبله منه.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤١٥ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٤١٥-٤١٨ ، وأخرجه عن ابن مسعود أيضاً عبد الرزاق ٢/ ٣٧٤ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤١٨ ، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٤ ، والطبري ٢٤/ ٤١٧-٤١٨ من طريق الحسن عن النبي ﷺ.

ورُوي عن عكرمةَ قال: النَّجْدان: الثَّدْيان. وهو قولُ سعيد بنِ المسيِّب والضحَّاك، ورُوِي عن ابن عباس وعليٍّ رضي الله عنهما[١]؛ لأنهما كالطريقين لحياةِ الولدِ ورزْقِه. فالنَّجْدُ: العُلُوُّ، وجَمْعُه: نُجُود؛ ومنه سُمِّيَتْ «نجد»؛ لارتفاعها عن انخفاض تِهامةَ. فالنَّجْدان: الطَّريقان العاليان. قال امرؤ القيس:

فريقان منهم جازعٌ بَطْنَ نخلةٍ وآخَرُ منهم قاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ[٢]

قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١﴾

أي: فهلَّا أنفق مالَه الذي يزعمُ أنه أنفقه في عداوة محمدٍ، هلَّا أَنفقه لاقتحامِ العَقَبةِ فيأمنَ! والاقتحامُ: الرَّمْيُ بالنفس في شيءٍ من غيرِ رَوِيَّةٍ؛ يقال منه: قَحَمَ في الأمر قُحوماً، أي: رَمَى بنفسه فيه من غير رَوِيَّةٍ. وقَحَّم الفَرَسُ فارسَه تَقْحيماً على وجهه: إذا رمَاه. وتَقْحيمُ النفسِ في الشيء: إدخالُها فيه من غير رَوِيةٍ. والقُحْمةُ بالضمِّ: المَهْلكةُ، والسنةُ الشديدة. يقال: أصابت الأعرابَ القُحْمةُ: إذا أصابهم قَحْطٌ، فدخلوا الرِّيف. والقُحَم: صِعابُ الطريق[٣].

وقال الفرَّاء والزَّجَّاج: وذكر «لا» مرةً واحدةً، والعربُ لا تكاد تُفْرِدُ «لا» مع الفعلِ الماضي في مثل هذا الموضع، حتى يُعيدوها في كلامٍ آخَرَ، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. وإنما

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٤١٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٨٩ عن ابن عباس والضحاك وسعيد بن المسيب. ولم نقف عليه عن علي ﷺ، وأخرج عنه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٦٤ ، أن النجدين هما الخير والشر. وكذا أخرج الفريابي وعبد بن حميد عنه أنه قيل له: إن ناساً يقولون: إن النجدين الثديان، قال: الخير والشر. الدر المنثور ٦/ ٣٥٣ .

(٢) ديوان امرئ القيس ص٤٣ . قوله: جازع بطن نخلة، يعني بستانَ ابن معمر، وهو مجتمعٌ لواديين؛ نخلةِ الشامية، ونخلةِ اليمانية، وكبكب: اسم جبل. يعني: افترق الحيان بعد انقضاء المرتبع الذي كان يجمعهم، ورجع كل حيٍّ إلى مائه وموضع إقامته، فكانوا فرقتين، فمنهم آخذٌ سُفْلاً، ومنهم آخِذٌ عُلُوًّا. ينظر شرح الديوان، ومعجم البلدان ١/ ٤١٤ و٥/ ٢٧٧ .

(٣) الصحاح (قحم).

أَفْرَدوها لدلالةِ آخِرِ الكلامِ على معناه؛ فيجوزُ أن يكون قوله: «ثم كان من الذين آمنوا» قائماً مقامَ التكرير، كأنه قال: فلا اقتحَمَ العقبةَ ولا آمَن[١]. وقيل: هو جارٍ مجرى الدعاء، كقوله: لا نَجا ولا سَلِم.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ قال سفيان بن عُيينة: كلُّ شيءٍ قال فيه: «وما أدراك» فإنه أخْبَر به، وكلُّ شيءٍ قال فيه: «وما يدريك» فإنه لم يُخْبِر به[٢]. وقال: معنى «فلا اقتحم العقبة»، أي: فلم يقتحم العقبةَ، كقول زُهَير:

وكان طَوَى كَشْحاً على مُسْتكِنَّةٍ فلا هو أبداها ولَمْ يَتَقَدَّمِ[٣]

أي: فَلَمْ يُبْدِها ولم يتقدَّم. وكذا قال المبرِّد وأبو عليٍّ[٤]: «لا» بمعنى لم. وذكره البخاريُّ[٥] عن مجاهد. أي: فلم يقتحم العقبةَ في الدنيا، فلا يحتاجُ إلى التكرير. ثم فَسَّر العقبةَ وركوبَها فقال: «فَكُّ رَقَبةٍ» وكذا وكذا، فبيَّن وجوهاً من القُرَبِ المالية.

وقال ابن زيد وجماعةٌ من المفسِّرين: معنى الكلامِ الاستفهامُ الذي معناه الإنكار، تقديره: أفَلا اقْتَحَم العقبة، أو هلَّا اقتحمَ العقبة. يقول: هلَّا أنفق مالَه في فكِّ الرقاب، وإطعام السَّغْبان؛ ليُجاوِزَ به العقبةَ، فيكون خيراً له من إنفاقه في عداوةِ محمدٍ ﷺ[٦].

ثم قيل: اقتحامُ العقبةِ هاهنا ضربُ مَثَلٍ، أي: هلَّا[٧] تَحَمَّلَ عِظامَ الأمورِ في

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٤-٢٦٥، وللزجاج ٥/ ٣٢٩، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٢١.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٩٠، وسلف ٢١/ ١٨٩ و ص٢٠٤ من هذا الجزء.

(٣) ديوان زهير ص٢٢. قال الشارح: الكشح: الخاصرة. على مستكنة: على أمر أكَنَّه في نفسه، يقال: طوى كشحه على كذا، أي: لم يُظْهِره.

(٤) هو الفارسي، وقوله في تفسير الرازي ٣١/ ١٨٥.

(٥) في صحيحه، قبل الحديث (٤٩٤٢).

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٨٩، وأخرجه بنحوه عن ابن زيد الطبري ٢٤/ ٤٢١. والسغبان: الجائع. القاموس (سغب).

(٧) في (م): هل.

إنفاقِ مالِه في طاعةِ ربِّه، والإيمانِ به. وهذا إنَّما يليقُ بقولِ مَن حَمَلَ «فلا اقتحَمَ العَقَبَةَ» على الدعاء، أي: فلا نَجا ولا سَلِمَ مَن لم يُنفِقْ مالَه في كذا وكذا.

وقيل: شبَّه عِظَمَ الذنوبِ وثِقلَها وشدَّتَها بعقبةٍ، فإذا أعتق رقبةً وعَمِلَ صالحاً، كان مَثَلُه كَمَثَلِ مَن اقتحم العقبةَ، وهي الذنوبُ التي تَضرُّه وتُؤذيه وتُثْقِلُه.

وقال ابن عمر: هذه العقبةُ جبلٌ في جهنَّم(١).

وعن أبي رجاءٍ قال: بَلَغنا أنَّ العقبةَ مَصْعَدُها سبعةُ آلافِ سنةٍ، ومَهْبِطُها سبعةُ آلافِ سنةٍ(٢).

وقال الحسن وقتادةُ: هي عقبةٌ شديدةٌ في النار دونَ الجِسْرِ، فاقْتَحِمُوها بطاعةِ الله(٣).

وقال مجاهدٌ والضحَّاك والكلبيُّ: هي الصِّراطُ يُضرَبُ على جهنَّم كحدِّ السيف، مسيرة ثلاثةِ آلافِ سنةٍ، سَهْلاً وصُعوداً وهُبوطاً(٤). واقتحامُه على المؤمن كما بَيْنَ صلاةِ العصرِ إلى العشاء. وقيل: اقتحامُه عليه قدر ما يصلِّي صلاةَ المكتوبة(٥).

وروي عن أبي الدَّرْداءِ أنه قال: إنَّ وراءَنا عقبةً، أَنْجَى الناسِ منها أخفُّهم حِمْلاً(٦).

وقيل: النارُ نفسُها هي العقبةُ؛ فروى أبو رجاءٍ عن الحسن قال: بلغنا أنه ما من مسلم يُعتِقُ رقبةً إلَّا كانت فداءَه من النار(٧). وعن عبد الله بن عمر قال: مَن أعْتَقَ رقبةً

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٣٢٦ بلفظ: جبلٌ زلالٌ في جهنم، وبنحوه في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٢٠ .

(٢) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٥٤ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٩٠ ، وأخرجه عنهما بنحوه الطبري ٢٤/ ٤٢٠ .

(٤) ذكره عنهم البغوي ٤/ ٤٨٩-٤٩٠ مطولاً.

(٥) ينظر ما سلف ١٣/ ٤٩٤ .

(٦) أخرجه ابن مردويه بنحوه من حديث أبي الدرداء ﷺ مرفوعا، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٤٥ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٢٢ .

أَعْتَقَ الله عزَّ وجلَّ بكلِّ عضوٍ منها عضواً منه.

وفي «صحيح» مسلمٍ عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «مَن أَعْتَقَ رقبةً أَعْتَقَ الله بكلِّ عضوٍ منها عضواً من أعضائه من النار، حتى فَرْجَه بفَرْجِه»[١].

وفي الترمذيِّ عن أبي أمامةَ وغيرِه من أصحاب النبيِّ ﷺ قال: «أيُّما امرِئٍ مُسْلِمٍ أعتقَ امرَأً مُسْلِماً، كان فَكَاكَهُ من النار، يَجزي كلُّ عضوٍ منه عضواً منه، وأيُّما امرأةٍ مسلمةٍ أعتقتِ امرأةً مُسلمةً، كانت فَكاكَها من النار، يَجزي كلُّ عضوٍ منها عضواً منها». قال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ[٢].

وقيل: العقبةُ: خلاصُه من هَوْلِ العَرْض. وقال قتادةُ وكعب: هي نارٌ دون الجسر[٣].

وقال الحسن: هي واللهِ عقبةٌ شديدةٌ: مجاهدةُ الإنسانِ نفسَه وهواه وعدوَّه الشيطان[٤]. وأنشد بعضهم:

إنِّي بُلِيتُ بأربعٍ يَرْمِينَني ... بالنَّبْلِ قد نَصَبوا عَليَّ شِرَاكا
إبليسُ والدنيا ونفسي والهوى ... مِن أين أرجو بينهنَّ فَكَاكا
يا ربِّ ساعِدْني بعفوٍ إنَّني ... أصبحتُ لا أرجو لهنَّ سِواكا

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾

فيه حذفٌ، أي: وما أدراك ما اقتحامُ العقبة. وهذا تعظيمٌ لالتزامِ أمرِ الدِّين، والخطابُ للنبيِّ ﷺ، ليعلِّمه اقتحامَ العقبة. قال القشيريُّ: وحَمْلُ العقبةِ على عَقَبةِ جهنَّم بعيدٌ؛ إذ أحدٌ في الدنيا لم يقتحم عقبةَ جهنَّم، إلَّا أنْ يُحملَ على أنَّ المرادَ:

(١) صحيح مسلم (١٥٠٩)، وهو عند أحمد (٩٤٤١)، والبخاري (٦٧١٥).

(٢) سنن الترمذي (١٥٤٧).

(٣) أخرجه عن قتادة الطبري ٢٤/ ٤٢٠، وسلف عنه بنحوه قريباً.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٥٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٢٦.

فهلَّا صَيَّر نفسَه بحيث يُمكِنُه اقتحامُ عقبةِ جهنَّمَ غداً.

واختار البخاريُّ قولَ مجاهدٍ: إنه لم يقتحم العقبةَ في الدنيا. قال ابن العربيِّ[١]: وإنَّما اختار ذلك لأجْلِ أنه قال بعد ذلك في الآيةِ الثانيةِ: «وما أدراكَ ما العَقَبَةُ»، ثم قال في الآيةِ الثالثة: «فَكُّ رَقَبةٍ»، وفي الآية الرابعة: «أَوْ إِطْعامٌ في يومٍ ذي مَسْغَبةٍ»، ثم قال في الآية الخامسة: «يتيماً ذا مَقْرَبةٍ»، ثم قال في الآيةِ السادسةِ: «أو مسكيناً ذا مَتْرَبةٍ»، فهذه الأعمالُ إنَّما تكون في الدنيا. المعنى: فلم يأتِ في الدنيا بما يُسَهِّل عليه سلوكَ العقبةِ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ فكُّها: خلاصُها من الأسْرِ. وقيل: من الرِّقِّ. وفي الحديث: «وفكُّ الرقبةِ أنْ تُعينَ في ثَمَنِها» من حديث البرَاء، وقد تقدَّم في سورة براءة[٢]. والفكُّ: هو حَلُّ القيدِ، والرِّقُّ قَيْدٌ. وسمِّي المرقوقُ رَقَبةً؛ لأنه بالرِّق كالأسيرِ المربوطِ في رقبته[٣]. وسُمِّي عتقُها فَكًّا [لأنه] كَفَكِّ الأسيرِ من الأسر؛ قال حسان:

كَمْ مِن أسيرٍ فَكَكْناه بلا ثَمَنٍ وجَزِّ ناصيةٍ كنَّا مَواليها[٤]

وروى عُقبةُ بنُ عامرٍ الجهنيُّ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن أَعْتَقَ رقبةً مؤمنةً كانت فداءَه من النار»[٥].

---

(١) في أحكام القرآن ٤/١٩٢٦-١٩٢٧ ، وينظر صحيح البخاري قبل الحديث (٤٩٤٢).

(٢) ١٠/٢٦٩ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٢٦ .

(٤) ديوان حسان ص٤٨٥ ، والكلام من النكت والعيون ٦/٢٧٩ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) أخرجه أحمد (١٧٣٢٦) و(١٧٣٥٧). ونقله المصنف عن الماوردي في النكت والعيون ٦/٢٧٩ .

قال الماوَرْدِيُّ[١]: ويحتمِلُ ثانياً: أنه أراد فكَّ رقبتِه وخلاصَ نفسِه، باجتناب المعاصي، وفِعْلِ الطاعات، ولا يمتنع[٢] الخبرُ من هذا التأويل، وهو أشبهُ بالصَّواب.

الثانية: قوله تعالى: ﴿رَقَبَةٍ﴾ قال أصبَغُ: الرقبةُ الكافرةُ ذاتُ الثَّمنِ أفضلُ في العِتق من الرقبةِ المؤمنةِ القليلةِ الثَّمنِ؛ لقول النبيِّ ﷺ وقد سُئل: أيُّ الرقابِ أفضلُ؟ قال: «أغلاها ثمناً، وأنفسُها عند أهلها»[٣]. ابن العربيِّ[٤]: والمرادُ في هذا الحديثِ: مِن المسلمين. بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «مَن أعْتَقَ امرأً مُسْلماً» و«مَن أعتقَ رقبةً مُؤمِنةً». وما ذكره أصبغُ وَهْلَةٌ[٥]، وإنَّما نَظَرَ إلى تنقيص المال، والنظرُ إلى تجريد المعتَقِ للعبادة، وتفريغِه للتوحيد، أَوْلَى.

الثالثة: العِتْقُ والصَّدقةُ من أفضل الأعمال. وعن أبي حنيفةَ: أنَّ العتقَ أفضلُ من الصدقة. وعند صاحبيه الصدقةُ أفضلُ. والآيةُ أدلُّ على قولِ أبي حنيفةَ؛ لتقديم العتقِ على الصدقة. وعن الشعبيِّ في رجلٍ عنده فَضْلُ نفقةٍ: أيضعُه في ذي قرابةٍ، أو يعتقُ رقبةً؟ قال: الرقبةُ أفضلُ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن فكَّ رقبةً فكَّ الله بكلِّ عضوٍ منها عضواً من النار»[٦].

قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ أي: مَجاعةٍ. والسَّغَبُ: الجوع.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٢٧٩.

(٢) في النكت والعيون: ولا يمنع.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٢٧، والحديث أخرجه أحمد (٢١٣٣١)، والبخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤) عن أبي ذر ﷺ، وسلف ١٠/ ٥٨.

(٤) في أحكام القرآن ٤/ ١٩٢٨.

(٥) أي: سهو وغلط، وَهَل فلان: سَها، ووَهِل عنه: غلط فيه ونسيه. المعجم الوسيط (وهل).

(٦) الكشاف ٤/ ٢٥٦، وسلف الحديث عند تفسير الآية (١١) من هذه السورة.

والساغبُ: الجائع. وقرأ الحسن: «أو إطعامٌ في يومٍ ذا مَسْغَبةٍ» بالألف في «ذا»[١].

وأنشد أبو عبيدة[٢]:

فلَوْ كنتَ جاراً يا ابنَ قيس بنِ عاصمٍ لَمَا بِتَّ شَبْعاناً وجارُك ساغِبا[٣]

وإطعامُ الطعامِ فضيلةٌ، وهو مع السَّغَبِ الذي هو الجوعُ أفضلُ. وقال النَّخَعيُّ في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ قال: في يومٍ عزيزٍ فيه الطعامُ[٤]. ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مِن مُوْجِباتِ الرَّحمةِ إطعامُ المُسْلِمِ السَّغْبان»[٥].

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: قَرابةٍ. يقال: فلانٌ ذو قَرابتي وذو مَقْرَبتي. يعلِّمك أنَّ الصَّدقةَ على القرابة أفضلُ منها على غيرِ القرابة، كما أنَّ الصَّدقة على اليتيم الذي لا كافلَ له أفضلُ من الصدقة على اليتيم الذي يجدُ مَن يَكْفلُه.

وأهلُ اللغةِ يقولون: سُمِّي يتيمًا لضَعْفِه. يقال: يَتُمَ الرجلَ يُتْماً: إذا ضَعُفَ. وذَكَروا أنَّ اليَتيمَ في الناس مِن قِبَلِ الأب، وفي البهائم مِن قِبَلِ الأمهات. وقد مضى في سورة البقرة مُستوفًى[٦]، وقال بعضُ أهلِ اللغةِ: اليتيمُ الذي يموتُ أبواه. وقال قيس بن الملوّح:

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧٤، والمحتسب ٢/ ٣٦٢، وستأتي.

(٢) في (ط): عبيد.

(٣) ذكره السمعاني في تفسيره ٦/ ٢٣٠ برواية: ساغبُ.

(٤) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٥.

(٥) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٢٤، والبيهقي في الشعب (٣٣٦٥) من طريق محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ، وفي إسناده طلحة بن عمرو المكي، ضعفه ابن معين وغيره، وقال أحمد والنسائي: متروك، وقال البخاري وابن المديني: ليس بشيء. الميزان ٢/ ٣٤٠.

وأخرجه البيهقي في الشعب (٣٣٦٣) بإسناد آخر عن محمد بن المنكدر قوله، و(٣٣٦٤) عن محمد بن المنكدر عن النبي ﷺ مرسلاً. وأخرجه هناد في الزهد (٦٣٤) عن مجاهد قوله.

(٦) ٢/ ٢٢٩ - ٢٣٠.

إلى اللهِ أشكو فقدَ لَيْلَى كما شَكا إلَى اللهِ فَقْدَ الوالِدَيْنِ يَتِيمُ[١]

قوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: لا شيءَ له، حتى كأنه قد لَصِقَ بالتُّراب من الفقر، ليس له مَأوًى إلّا الترابُ. وقال ابن عباس: هو المطروحُ على الطريق، الذي لا بيتَ له. مجاهد: هو الذي لا يَقيه من التراب لِباسٌ ولا غيرُه. وقال قتادةُ: إنَّه ذو العيال[٢].

عكرمةُ: المديون. أبو سنان: ذُو الزَّمانَةِ. ابن جبير: الذي ليس له أحد. وروى عكرمةُ عن ابن عباس: ذو المَتْرَبَةِ: البعيدُ التُّرْبةِ، يعني الغريب البعيد عن وطنه[٣].

وقال أبو حامد الخارْزَنْجِيُّ: المَتْربةُ هنا: من التَّرِيب، وهي شدَّةُ الحالِ؛ يقال: تَرِبَ، إذا افتقرَ. قال الهُذَليُّ:

وكُنَّا إذا ما الضيفُ حَلَّ بأرْضِنا سَفَكْنا دِماءَ البُدْنِ في تُرْبةِ الحالِ[٤]

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو والكسائيُّ: «فَكَّ» بفتحِ الكاف على الفعل الماضي، «رقبةً» نَصْباً لكونها مفعولاً، «أو أطْعَمَ» بفَتْحِ الهمزةِ ونَصْبِ الميم، من غيرِ ألف، على الفعل الماضي أيضاً؛ لقوله: «ثم كان مِن الذين آمنوا»، فهذا أَشْكَلُ بـ«فكَّ» و«أطْعمَ».

وقرأ الباقون: «فَكُّ» رفعاً على أنَّه مصدرُ فَكَكْتُ، «رقبةٍ» خفض بالإضافة، «أو إطعامٌ» بكَسْرِ الهمزة وألفٍ ورفعِ الميم وتَنوينِها، على المصدر أيضاً[٥]. واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم؛ لأنه تفسيرٌ لقوله تعالى: «وما أدْرَاكَ ما العَقَبةُ»، ثم أخْبَره فقال:

---

(١) ديوان مجنون ليلى ص٢٤٤ .

(٢) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٧٩ ، وأخرجها الطبري ٢٤/ ٤٢٦ - ٤٣٠ .

(٣) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٧٩ ، وخبر ابن عباس أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٥ .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٣ ، واللسان (حول) دون نسبة. قال ابن هشام: يعني بالحال: الطين الذي يخالطه الرمل.

(٥) السبعة ص٦٨٦ ، والتيسير ص٢٢٣ .

«فَكُّ رَقَبةٍ. أو إطْعَامٌ». المعنى: اقتحامُ العقبةِ: فكُّ رقبةٍ أو إطعامٌ. ومَن قرأ بالنَّصب فهو محمولٌ على المعنى، أي: ولا فَكَّ رقبةً، ولا أطعمَ في يومٍ ذي[1] مَسْغَبة، فكيف يُجاوِزُ العَقَبة.

وقرأ الحسن وأبو رَجاء: «ذا مَسْغبةٍ» بالنَّصب على أنه مفعولُ «إطعامٌ»، أي: يُطْعِمون ذا مَسْغَبةٍ، و«يَتيماً» بدلٌ منه. الباقون: «ذِي مَسْغَبةٍ»، فهو صفةٌ لـ«يومٍ». ويجوزُ أنْ تكونَ قراءةُ النَّصْبِ صفةً لموضعِ الجارِّ والمجرور؛ لأنَّ قوله: «في يومٍ» ظَرْفٌ منصوبُ الموضعِ، فيكونُ وصفاً له على المعنى دونَ اللَّفْظ[2].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني: أنَّه لا يقتحمُ العقبةَ مَن فكَّ رقبةً، أو أطعمَ في يومٍ ذي[3] مَسْغبةٍ، حتى يكون مِن الذين آمنوا، أي: صدَّقوا، فإنَّ شَرْطَ قَبولِ الطاعاتِ الإيمانُ بالله. فالإيمانُ بالله بَعْدَ الإنفاقِ لا ينفعُ، بل يجبُ أن تكونَ الطاعةُ مصحوبةً بالإيمان، قال الله تعالى في المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤]. وقالت عائشة: يا رسولَ الله، إنَّ ابنَ جُدْعَانَ كان في الجاهلية يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطْعِمُ الطعامَ، ويَفُكُّ العانيَ، ويُعتِقُ الرقابَ، ويحملُ على إبله لله، فهل ينفعُه ذلك شيئاً؟ قال: «لا، إنَّه لم يَقُلْ يوماً: ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يومَ الدِّين»[4].

وقيل: «ثُمَّ كانَ مِن الذينَ آمَنوا» أي: فَعَلَ هذه الأشياءَ وهو مؤمنٌ، ثم بقي على

---

(١) في (م): ذا.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٦٢ ، وسلفت القراءة في بداية تفسير هذه الآية.

(٣) في (م): ذا.

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٦٢١)، ومسلم (٢١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، وسلف ١٦/ ٤٠ .

إيمانه حتى الوفاةِ، نظيرُه قولُه تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

وقيل: المعنى: ثم كان من الذين يؤمنون بأنَّ هذا نافعٌ لهم عند الله تعالى.

وقيل: أتى بهذه القُرَبِ لوجهِ الله، ثم آمَنَ بمحمدٍ ﷺ؛ وقد قال حكيم بنُ حزام بعدَ ما أسْلَم: يا رسول الله، إنَّا كنَّا نَتَحنَّثُ بأعمالٍ في الجاهلية، فهل لنا منها شيءٌ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أَسْلَمْتَ على ما أَسْلَفْتَ من الخير»(١).

وقيل: إنَّ «ثم» بمعنى الواو، أي: وكان هذا المُعْتِقُ الرقبةَ، والمُطْعِمُ في المسغبة، من الذين آمنوا. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾ أي: أوْصَى بعضُهم بعضاً ﴿بِٱلصَّبۡرِ﴾ على طاعة الله، وعن معاصيه، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ أي: بالرَّحمة على الخَلْق؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك رَحِموا اليتيمَ والمسكين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ أي: الذين يُؤْتَوْنَ كتبَهم بأيمانهم؛ قاله محمد بن كعب القُرَظيُّ وغيرُه. وقال يحيى بن سلام: لأنهم ميامينُ على أنفسهم. زيد بن أسلم: لأنهم أُخِذوا من شِقِّ آدمَ الأيمنِ. وقيل: لأنَّ منزلتهم عن اليمين؛ قاله مَيمون بن مِهران.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: القرآن. ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ أي: يأخذون كُتُبَهم بشَمائلهم؛ قاله محمد بن كعب. يحيى بن سلام: لأنَّهم مَشائيمُ على أنفسهم. زيد بن أسلم(٢): لأنهم أُخِذوا من شِقِّ آدمَ الأيسرِ. ميمون: لأنَّ منزلتهم عن اليسار.

قلت: ويجمعُ هذه الأقوالَ أن يُقال: إنَّ أصحاب الميمنةِ أصحابُ الجنةِ، وأصحابَ المَشأمةِ أصحابُ النارِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ فِي سِدۡرٍ مَّخۡضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٧-٢٨] وقال: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٢]. وما كان مِثْلَه.

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٣١٨)، والبخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣)، وسلف ١٠/ ٢٣٧، والتحنث: التعبُّد.

(٢) وقع في النسخ: ابن زيد، بدل: زيد بن أسلم، في الموضعين، والمثبت من النكت والعيون ٦/ ٢٨٠، والكلام منه، وسلف هذا القول عن زيد بن أسلم في تفسير الآية (٨) من سورة الواقعة.

ومعنى ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي: مُطْبَقة مُغْلَقَة، قال:

تَحِنُّ إلى أجبالِ مكةَ ناقتي ... ومِن دُونِها أبوابُ صنعاءَ مُؤْصَدَهْ[(١)]

وقيل: مُبْهمة، لا يُدْرَى ما داخِلُها. وأهلُ اللُّغةِ يقولون: أوْصَدْتُ البابَ وآصدْتُهُ، أي: أغلقتُه. فَمَن قال: أوْصَدْتُ، فالاسمُ الوِصَاد، ومَن قال: آصَدْتُه، فالاسمُ الإصاد.

وقرأ أبو عمرو وحفصٌ وحمزةُ ويعقوبُ، والشَّيزَريُّ عن الكسائيِّ: «مُؤْصَدَة» بالهَمْزِ هنا وفي «الهُمَزة»[(٢)]. الباقون بلا هَمْزٍ. وهما لُغتان. وعن أبي بكر بن عياش قال: لنا إمامٌ يهمزُ «مُؤْصَدَة»، فأشْتَهي أنْ أسُدَّ أذنيَّ إذا سمعتُه[(٣)].

(١) إصلاح المنطق ص١٨٠ ، وأنشده ابن عباس لنافع بن الأزرق، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٥ عن الطستي.

(٢) السبعة ص٦٨٦ ، والتيسير ص٢٢٣ ، والنشر ١/ ٣٩٥ عن أبي عمرو وحفص وحمزة ويعقوب وخلف. والمشهور عن الكسائي: «موصدة» بغير همز.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥٧ . قال السمين في الدر المصون ١١/ ١٢ : وكأنه لم يحفظ عن شيخه إلا تركَ الهمز، مع حِفْظِ حفص إياه (يعني الهمز) عنه.

سُورَةُ البَلَدِ

مكيَّةٌ، وآيُها عشرونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أقسمَ سبحانَهُ بالبلدِ الحرامِ، وقيَّدَهُ بحلولِ الرَّسولِ فيهِ إظهارًا لمزيدِ فضلهِ، وإشعارًا بأنَّ شرفَ المكانِ بشرفِ أهلهِ.

وقيل: ﴿حِلٌّ﴾: مُستحَلٌّ تعرُّضُك فيه كما يُستحَلُّ تعرُّضُ الصَّيدِ في غيرِه، أو: حلالٌ لكَ أن تفعلَ فيهِ ما تريدُ ساعةً من النَّهارِ، فهوَ وعدٌ بما أَحَلَّ لهُ عامَ الفتحِ.

(٣) ـ ﴿وَوَالِدٍ﴾ عطفٌ على (هذا البلدِ)، والوالِدُ: آدمُ أو إبراهيمُ عليهما السَّلامُ ﴿وَمَا وَلَدَ﴾: ذرِّيتُهُ، أو محمَّدٌ ﷺ، والتنكيرُ للتَّعظيمِ، وإيثارُ (ما) على (مَن) لِمَعنى التَّعجُّبِ، كما في قولِه: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦].

(٤ ـ ٥) ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾: تعبٍ ومشقَّةٍ؛ مِن: كَبِدَ الرَّجلُ كَبَدًا: إذا وَجِعَت كَبِدُهُ، ومنهُ: المكابَدةُ، والإنسانُ لا يزالُ في شدائدَ مبدؤُها ظُلمةُ الرَّحمِ ومضيقُه، ومُنْتَهاها الموتُ وما بعدهُ، وهو تسليةٌ للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ بما كانَ يكابدُهُ من قُريشٍ.

والضَّميرُ في ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبعضِهم الذي كانَ يكابدُ منهُ أكثرَ[١]، أو يغترُّ بقوتِهِ؛ كأبي الأشدِّ بن كَلَدَةَ، فإنَّهُ كانَ يُبسَطُ تحتَ قدمهِ أديمٌ عُكاظِيٌّ ويجذبهُ عشرةٌ فينقطعُ ولا تَزِلُّ قدماهُ[٢]، أو لكلِّ أحدٍ منهم، أو للإنسانِ.

﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فينتقمَ منهُ.

(٦) ـ ﴿يَقُولُ﴾؛ أي: في ذلكَ الوقتِ ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: كثيرًا، مِن تلبَّدَ الشَّيءُ: إذا اجتمعَ، والمرادُ: ما أنفقَهُ سُمعةً ومفاخرةً، أو مُعاداةً للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

(٧) ـ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ حينَ كانَ يُنفقُ، أو بعدَ ذلكَ فيسألَهُ عنهُ، يعني: أنَّ اللهَ يراهُ فيُجازيهِ، أو يجدُهُ فيحاسِبُهُ عليهِ، ثمَّ قرَّرَ ذلكَ بقولِه:

(٨ ـ ٩) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ يُبصِرُ بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ يُترجِمُ بهِ عن ضمائرِهِ ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يَستُرُ بهما فاهُ، ويَستعينُ بهما على النُّطقِ والأكلِ والشُّربِ وغيرِها.

(١٠) ـ ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: طريقَي الخيرِ والشَّرِّ، أو الثَّديينِ، وأصلهُ: المكانُ المُرتفِعُ.

(١١) ـ ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾؛ أي: فلَمْ يَشْكُرْ تلكَ الأياديَ باقتحامِ العَقَبةِ، وهو الدُّخولُ في أمرٍ شديدٍ، والعَقَبَةُ: الطَّريقُ في الجبلِ، استعارَها لِمَا فسَّرها بهِ من الفَكِّ والإطعامِ، في قولِه:

(١٢ ـ ١٦) ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ لِمَا فيهما مِن مجاهدةِ النَّفسِ، ولِتَعدُّدِ المرادِ بها

---

(١) «يكابد» الضمير المستتر للنبي ﷺ، و«منه» الهاء للبعض المذكور في قوله: «لبعضهم».

(٢) انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٠/ ٢٥٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (٢٩/ ٣٨٧)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٠). وجاء في بعض المصادر: أبو الأشدين.

حَسُنَ وُقوعُ (لا) موقعَ (لم)؛ فإنَّها لا تكادُ تقعُ إلا مكرَّرةً، إذِ المعنى: فلا فكَّ رَقبةً ولا أطعمَ يتيمًا أو مسكينًا.

والمَسْغَبَةُ والمَقْرَبَةُ والمَتْرَبَةُ: مَفْعَلاتٌ؛ من سَغِبَ: إذا جاعَ، وقَرُبَ في النَّسبِ، وتَرِبَ: إذا افتقرَ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو والكِسائيُّ: ﴿فَكَّ رَقَبَةً أو أَطْعَمَ﴾[1] على الإبدالِ من ﴿اقْتَحَمَ﴾ وقولُه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ اعتراضٌ معناهُ: إنَّكَ لم تَدْرِ[2] كُنْهَ صعوبَتِها وثوابِها.

(١٧) ـ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عطَفَهُ على ﴿ٱقْتَحَمَ﴾ أو ﴿فكَّ﴾ بـ﴿ثُمَّ﴾ لتَباعُدِ الإيمانِ عن العتقِ والإطعامِ في الرُّتبةِ؛ لاستقلالِهِ واشتراطِ سائرِ الطَّاعاتِ بهِ.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾: وأَوْصَى بعضُهم بعضًا بالصَّبرِ على طاعةِ اللهِ تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: بالرَّحمةِ على عبادهِ، أو بموجباتِ رحمةِ اللهِ.

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: اليمينِ أو اليُمْنِ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بما نصَبْناهُ دليلًا على الحقِّ[3] من كتابٍ وحجَّةٍ، أو: بالقرآنِ ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: الشِّمالِ، أو الشُّؤمِ، ولتكريرِ ذكرِ المؤمنينَ باسمِ الإشارةِ والكفَّارِ بالضَّميرِ شأنٌ لا يخفَى.

(٢٠) ـ ﴿عليهم نارٌ مُوصَدَةٌ﴾: مطبَقةٌ؛ مِن أوصدتُ البابَ: إذا أطبقْتَهُ وأغلقْتَه، وقرأ أبو عمرٍو وحمزةُ وحفصٌ بالهمزِ[4]؛ من آصَدْتُهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

(٢) في نسخة التفتازاني: «تدرك».

(٣) في النسخ عدا نسخة التفتازاني: «حقٍّ».

(٤) وقرأ الباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢٣).

عن النبيِّ ﷺ: «مَن قرأ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أعطاهُ اللهُ الأمانَ مِن غَضبهِ يومَ القيامةِ»(١).

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٧٧-٣٧٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٨٨)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

سورة البلد(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦
أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ
ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى
يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾.

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ الآية، هذه السورة مكية في قول الجمهور. ولما ذكر تعالى ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم وحالة التقدير، وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما آل إليه [٥٧٩/ ب] حاله وحال المؤمن - أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيئ وما آل إليه في الآخرة. والإشارة بـ«هذا البلد» إلى مكة.

﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ جملة حالية تفيد تعظيم المقسَم به، أي: وأنت مقيم به، وهذا هو الظاهر.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ لا يراد به معيّن، بل ينطلق على كل والد وولد، وقيل:

---

(١) مكية وهي عشرون آية.

على آدم وجميع ولده.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا﴾ هذه الجملة المقسَم عليها. والجمهور على [أنّ] «الإنسان» اسم جنس. ﴿فِى كَبَدٍ﴾ يكابد مشاقّ الدنيا والآخرة، ومشاقّه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرّته إلى أن يستقر [في] قراره، إما إلى جنة فتزول عنه المشقات جميعها، وإما إلى نار فتتضاعف مشقاته وشدائده.

والظاهر أن الضمير في ﴿أَيَحْسَبُ﴾ عائد على الإنسان، أي: هو لشدّة شكيمته وعزّته وقوّته، يحسب أنه لا يقاومه أحد، ولا يقدر عليه لاستعصامه بعدده وعُدده.

﴿يَقُولُ﴾ على سبيل الفخر ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: كثيراً في المكارم وما يحصل به الثناء.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ أن أعماله تخفى، وأنه لا يراه أحد، ولا يطّلع عليه في إنفاقه ومقصده مما يبتغيه، مما ليس لوجه الله تعالى منه شيء. بل عليه حَفَظَةٌ يكتبون ما يصدر عنه من عمل في حياته، ويحصونه إلى يوم الجزاء.

ثم عدّد تعالى نعمه على الإنسان فقال ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ أي: يبصر بهما.

﴿وَلِسَانًا﴾ يفصح عمّا في باطنه. ولم يتعرّض للسمع لأنه يلزم من الكلام السمع. ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يطبقهما على فيه، ويستعين بهما على الأكل والشرب والنفخ وغير ذلك.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال ابن عباس: الخير والشر، وقيل: الثّديان.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يشكر تلك النعم السابقة. و«لا» نافية،

والمعنى: لم يقتحم. و«العقبة» استعارة لهذا العمل الشّاق على النفس من حيث [هو] بذل مال، تشبيه بعقبة الجبل[١]، وهو ما صعب منه وكان صعوداً، فإنه يلحقه مشقة في سلوكها. واقتحمها: دخلها بسرعة وضغط وشدّة. والقحمة: الشدّة والسّنة الشديدة، يقال: قحم في الأمر قحوماً: رمى نفسه فيه من غير رويّة.

وقرىء: فَكَّ، فعلاً ماضياً. رقبةً، نصباً. أو أطعَمَ، فعلاً ماضياً. وقرىء: فكُّ، مرفوعاً خبر مبتدأ محذوف أي: هي فكّ رقبةٍ، مجروراً بالإضافة.

﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ﴾ مصدر منوّن معطوف على «فكُّ». وفيه دليل على إعمال المصدر منوّناً، إذ نصب به «يتيماً» ونظيره قول الشاعر[٢]: [من الوافر]

بضـربٍ بـالسيـوف رؤوسَ قـومٍ أَزَلْنـا هـامَهُـنَّ عـن المَقيـلِ

ووصف «يوم» بـ«ذي مسغبة» على الاتّساع. والمسغبة: المجاعة. ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ لتجتمع صدقة وصلة.

﴿أَوْ مِسْكِينًا﴾ «أو» للتنويع. ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [٥٨٠/أ] هم المطروحون على ظهر الطريق قعوداً على التراب، لا بيوت لهم.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هذا معطوف على قوله «فلا اقتحم العقبة» ودخلت «ثم» لتراخي الإيمان في الرتبة والفضيلة لا للتراخي في الزمان، لأنه لا بدّ أن يسبق تلك الأعمال الحسنة الإيمان؛ إذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان

---

(١) ق: الجمل.

(٢) البيت للمرار الأسدي، من شواهد سيبوية ١: ١١٦، ١٩٠.

والطاعات وعن المعاصي.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: بالتعاطف[١] والتراحم، أو بما يؤدي إلى رحمة الله تعالى.

﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ و﴿الْمَشْأَمَةِ﴾ تقدّم الكلام عليهما في الواقعة[٢].

﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ قرىء بالهمز وبالواو. يقال: أوصدت الباب وآصدته إذا أغلقته وأطبقته، وقال الشاعر[٣]: [من الطويل]

تحنُّ إلى أجبالِ مكّةَ ناقتي ... ومن دونها أبوابُ صنعاءَ مُؤْصَدَهْ

(١) ق: بالمعاطيف.

(٢) انظر تفسير الآيتين ٨، ٩ من الواقعة.

(٣) البيت في شرح شواهد الكشاف ص٣٩١ غير منسوب.

مفردات سورة البلد

الكَبَد: الشِّدَّة والمَشقَّة، وأصله: مِن: كَبِدَ الرجلُ كَبَداً، فهو أكْبَد: إذا وجعَه كَبِدُه وانْتَفَخت، فاستعمل في كلِّ تَعَبٍ ومشقَّة، ومنه اشتُقَّت المُكابَدَة، وقال لبيد:

يـا عـيـنُ هـلَّا بـكَـيْـتِ أَرْبَـدَ إذْ   قـمـنـا وقـامَ الـخـصـومُ فـي كَـبَـدِ[1]

وقال أبو الإصبع:

لِيَ ابنُ عَمٍّ لَوَ انَّ النَّاسَ في كَبَدٍ   لَظَلَّ مُحْتَجِزاً بالنَّبْل يَرميني[2]

الشَّفَةُ: معروفة، وأصلها: شَفهةٌ، حُذفت منها الهاء، ويدلُّ عليه: شُفَيْهَة، وشِفَاه، وشافهت، وهي ممَّا لا يَجوز جَمعه بالألف والتاء وإنْ كان فيها تاءَ التأنيث.

النَّجد: العُنُق[3]، وجمعه: نُجُود، وبه سُمِّيت: نَجْد؛ لارتفاعها عن انخفاضِ تهامة، والنَّجْد: الطريقُ العالي، قال امرؤ القيس:

فـريـقـانِ مـنـهـم جـازعٌ بَـطْـنَ نَـخْـلَـةٍ   وآخَـرُ مـنـهـم قـاطِـعٌ نَـجْـدَ كَـبْـكَـبِ[4]

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٢، والبيت في ديوان لبيد ص١٦٠، وأربد هو أخو لبيد.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وورد فيه: ذو الإصبع، وهو الصواب، والبيت في ديوانه.

(٣) كذا في النسخ، وكذا وردت في الدر المصون ١١/ ٨، والذي في تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٧ والكلام منه: العُلُوُّ، وكذا وردت في معظم المعاجم اللغوية، مع الإشارة إلى أنه ورد في لسان العرب والقاموس (نجد) وغيرهما أنَّ النَّجود من الأُتن والإبلِ: الطويلة العُنُق. فلعلَّ ما ذهب إليه المصنِّف من هذا الباب، والله تعالى أعلم.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٧، والبيت في ديوان امرئ القيس ص٤٣، وقوله: جازع بطن نخلة. يعني: بستان ابن مغمر، وهو مجتمع لواديين؛ نخلة الشامية، ونخلة اليمانية، وكبكب: اسم =

الفَكُّ: تَخليصُ الشيءِ مِن الشيء، قال الشاعر:

فيا ربّ مكروبٍ كَرَرتُ وَرَاءَهُ   وعانٍ فَككتُ الغُلَّ منه فَفَدَّاني[1]

السَّغَب: الجُوع العامُّ، وقد يقال: سَغِبَ الرَّجُلُ: إذا جاع.

تَرِبَ الرَّجُلُ: افتقرَ ولَصقَ بالتُّراب، وأَتربَ: إذا استغنى وصار ذا مالٍ، كالتراب، وكذلك: أَثْرَى.

أَوْصَدْتُ البابَ وآصَدْتُه: إذا أغلقتَه وأطبقته، قال الشاعر:

تَحِنُّ إلى أجبالِ مكَّةَ ناقتي   ومِن دُونها أبوابُ صنعاءَ مُؤْصَدَهْ[2]

* * *

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾.

= جبل، يعني: افترق الحيَّان بعد انقضاء المرتبع الذي كان يجمعهم، ورجعَ كل حيٍّ إلى مائه، وموضع إقامته، فكانوا فرقتين، فمنهم آخذ سُفْلاً، ومنهم آخذٌ عُلْواً. ينظر شرح الديوان، ومعجم البلدان ١/ ٤١٤ و٥/ ٢٧٧.

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٧، والبيت في إصلاح المنطق ص١٨٠، وأنشده ابنُ عباس لنافع بن الأزرق، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٥ عن الطستي.

هذه السورة مكِّيَّة في قولِ الجمهور، وقيل: مدنيَّة[١].

ولمَّا ذَكَر تعالى ابتلاءَه للإنسان بحالة التنعيم وحالةَ التقدير، وذَكَر مِن صفاته الذميمة ما ذَكَر، وما آلَ إليه حالُه وحالُ المؤمن أَتْبَعه بنوعٍ مِن ابتلائه ومِن حالهِ السَّيِّئ وما آلَ إليه في الآخِرَة.

والإشارة «بهذا البلد» إلى مكَّة، «وأنتَ حِلٌّ» جملة حاليَّة تُفيد تعظيمَ المُقسَم به، أي: فأنتَ مقيمٌ به، وهذا هو الظاهر.

وقال ابنُ عبَّاس وجماعةٌ: معناه: وأنتَ حلالٌ بهذا البلد، يَحلُّ لكَ فيه قَتْل مَن شِئْتَ، وكان هذا يوم فتحِ مكَّة.

وقال ابنُ عطيَّة[٢]: وهذا يتركَّب على قولِ مَن قال: السورة مدنيَّة نزلت عام الفتح، ويتركَّب على هذا التأويل قول مَن قال: «لا» نافية، أي: إنَّ هذا البَلَد لا يُقسِم اللهُ به وقد جاءَ أهلُه بأعمالٍ تُوجب الإحلال إحلالَ حُرْمَته.

وقال شُرَحْبيلُ بنُ سعد: معنى: «وأنتَ حِلٌّ بهذا البلد» جَعَلوك حلالاً مستحلَّ الأَذَى والقَتْل والإخراج[٣].

وهذا القولُ بَدَأَ به الزمخشريُّ، وقال: وفيه بَعْثٌ على احتمال ما كان يُكابِد مِن أهلِ مكَّة، وتعجيبٌ مِن حالهم في عداوته، أو سلَّى رسولَ الله ﷺ بالقَسَم ببلدِه، على أنَّ الإنسانَ لا يَخلو مِن مقاساةِ الشدائد، واعترضَ بأنْ وَعَدَه فتحَ مكَّة؛ تتميماً للتسلية والتنفيس عنه، فقال: «وأنتَ حلٌّ به» في المستقبل تَصنعُ فيه ما تُريد مِن القَتْل والأَسْر[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣.
(٢) المصدر السابق، وما قبله منه أيضاً، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٨٩-٢٩٠، وقول ابنِ عباس السالف عند الطبريّ ٢٤/ ٤٠٣.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٥٤.

ثم قال الزمخشريُّ بَعْدَ كلامٍ طويل: فإنْ قلت: أينَ نظيرُ قوله: «وأنتَ حِلٌّ» في معنى الاستقبال؟

قلت: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ومِثْلُه واسعٌ في كلام العبادِ، تقول لمَن تَعِدُه الإكرامَ والحبا: أنتَ مكرمٌ مَحْبُوٌّ، وهو في كلام اللهِ أوسعُ؛ لأنَّ الأحوالَ المُستقبَلة عنده كالحاضِرَة المشاهَدَة، وكفاكَ دليلاً قاطعاً على أنَّه للاستقبال وأنَّ تفسيرَه بالحال مُحالٌ؛ أنَّ السورةَ بالاتِّفاق مكِّيَّة، وأينَ الهجرةُ مِن وقت نزولها، فما بالُ الفَتْح[1]؟. انتهى.

وحَمْله على أنَّ الجملةَ اعتراضيَّةٌ لا يتعيَّن، وقد ذكرنا أوَّلاً أنَّها جملة حاليَّة، وبيَّنَّا حُسْنَ موقعها، وهي حالٌ مقارنة لا مقدَّرة ولا محكيَّة، فليست مِن الإخبار بالمستقبَل.

وأمَّا سؤاله والجواب، فهذا لا يَسأله مَن له أَدنى تعلُّق بالنَّحو؛ لأنَّ الأخبار قد تكون بالمستقبَلات، وأنَّ اسمَ الفاعل وما يجري مجراه حالةَ إسنادِه أو الوصفِ به، لا يتعيَّن حَمْلُه على الحال، بل يكون للماضي تارةً، وللحالِ أُخرى، وللمستقبَل أُخرى، وهذا مِن مبادئ عِلْم النحو.

وأمَّا قوله: وكفاكَ دليلاً قاطعاً... إلى آخره. فليس بشيء؛ لأنَّا لم نَحمل «وأنتَ حِلٌّ» على أنَّه يحلُّ لكَ ما تصنعُ في مكَّة مِن الأَسْر والقَتْل في وقت نزولها بمكَّة، فتنافيا، بل حَمَلْناه على أنَّه مقيمٌ بها خاصَّة، وهو وقت النزول كان مقيماً بها ضرورةً.

وأيضاً فما حكاه مِن الاتِّفاق على أنَّها نزلت بمكَّة، ليس بصحيحٍ، وقد حكى الخلافَ فيها عن قومٍ ابنُ عطيَّة[2]. ولا يدلُّ قوله: «وأنتَ حِلٌّ بهذا البلد» على ما ذكروه مِن أنَّ المعنى: يستحلّ إذ ذاك، ولا على أنَّك تستحلّ فيه أشياء، بل الظاهر ما ذَكرناه أوَّلاً مِن أنَّه تعالى أقسمَ بها لِمَا جَمعت مِن الشَّرفين؛ شَرفها

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣، وسلفت الإشارة إلى ذلك أوَّل السورة.

بإضافتها إلى الله تعالى، وشَرفها بحضورِ رسول الله ﷺ وإقامته فيها، فصارت أهلاً أنْ يُقسَم بها.

والظاهر أنَّ قوله: «ووالدٍ وما وَلَد» لا يُراد به معيَّنٌ، بل يَنطلق على كلِّ والدٍ، وقال ابنُ عباس ذلك، قال: هو على العموم يَدخُل فيه جميعُ الحيوان.

وقال مجاهد: آدم وجميعُ وَلَدِه، وقيل: والصالحين مِن ذرِّيَّته، وقيل: نوح وذرِّيته، وقال أبو عمران الجوني: إبراهيم عليه السلام وجميعُ وَلَدِه، وقيل: «ووَالدٍ» رسولُ الله ﷺ، «وما وَلَد» إبراهيم عليه السلام[(١)].

وقال القرطبيُّ[(٢)] والماورديُّ: يحتمل أنْ يكون الوالدُ النبيَّ ﷺ؛ لتقدُّم ذِكْره، «وما وَلَد» أمَّتُه؛ لقوله ﷺ: «إنَّما أنا لكم بمنزلةِ الوَالد»[(٣)]، ولقراءة عبدِ الله: «وأزواجُهُ أمَّهاتُهم، وهو أبٌ لهم»[(٤)]، فأَقْسَم تعالى به وبأمَّته بَعْدَ أنْ أقسمَ ببلده؛ مبالغةً في شَرَفه عليه الصلاة والسلام.

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: ما المراد بـ «ووالدٍ وما وَلَد»؟

قلت: رسول الله ﷺ ومَن وَلَده أَقْسَمَ ببلدِه الذي هو مسقطُ رأسِه، وحَرَمُ أبيه إبراهيم عليه السلام، ومَنْشَأُ أبيه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وبمن وَلَدَهُ وبه.

فإنْ قلت: لِمَ نكَّر؟ قلت: للإبهام المستقلّ بالمدح والتعجُّب.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩١، والثعلبي ٦/ ٤٦١، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤٠٦-٤٠٨.

(٢) في النسخ: الطبريّ، والمثبت هو الصواب؛ لأنَّا لم نقف على الكلام عند الطبريّ، بل هو عند القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٢٩٢ نقلاً عن الماوردي صاحب النكت والعيون، وكلامه فيه ٦/ ٢٧٥، وينظر أيضاً الكشاف ٤/ ٢٥٤، وسيأتي كلامه قريباً.

(٣) أخرجه أبو داود (٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) ذكرها الفراء في معاني القرآن له ٢/ ٣٣٥، والنحاس في معاني القرآن له ٣/ ٣٦٨ عن عبد الله ابن عباس، وهي في القراءات الشاذة ص١١٩ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٧٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٦٣، وسلفت في سورة الأحزاب عند تفسير الآية (٦) منها.

فإنْ قلت: هلَّا قيل: ومَن وَلَد؟

قلت: فيه ما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي: بأيّ شيءٍ وَضَعت، يعني: موضوعاً عجيبَ الشأن[١]. انتهى.

وقال الفرَّاء: وصلح «ما» للناس، كقوله: ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣] و﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]، وهو الخالق للذَّكَر والأنثى[٢]. انتهى.

وقال ابنُ عبَّاس وعكرمة وابنُ جبير: المراد بالوَالِد الذي يُولَد له، وبما وَلَد: العاقِرُ الذي لا يُولَد له، جعلوا «ما» نافيةً، فتحتاج إلى تقدير موصول يصحُّ به هذا المعنى[٣]، كأنَّه قال: ووالدٍ والذي ما وَلَد، وإضمار الموصول لا يَجوز عند البصريِّين[٤].

«لقد خَلَقنا الإنسان في كَبَدٍ» هذه الجملة المُقسَم عليها، والجمهور على أنَّ الإنسانَ اسمُ جنس، و«في كَبَد» يكابد مشاقَّ الدنيا والآخِرَة، ومشاقُّه لا تكاد تَنْحصرُ مِن أوَّل قطع سُرَّته إلى أنْ يستقرّ قراره؛ إمَّا في جنَّة فتزول عنه المشقَّات، وإمَّا في نار فتتضاعف مشقَّاته وشدائده[٥].

وقال ابنُ عبَّاس وعبد الله بنُ شدَّاد وأبو صالح والضَّحَّاك ومجاهد: «في كَبَد»: معناه: مُنتصِب القَامَة واقفاً، لم يُخلَق منكبًّا على وجهه، وهذا امتنانٌ عليه.

وقال ابنُ كيسان: منتصباً رأسه في بطن أمِّه، فإذا أُذِنَ له بالخروج قُلبَ رأسُه إلى قَدَمَي أمِّه.

وعن ابنِ عمر: يُكابِد الشكر على السَّرَّاء، ويُكابِد الصبرَ على الضَّرَّاء.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٤.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩١، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٦٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩١، والثعلبي ٦/ ٤٦١، والآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤٠٦.

(٤) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩١، والرازي ٣١/ ١٨٢.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٣.

وقال ابنُ زيد: «الإنسان» آدم «في كَبَد» في السماء، سمَّاها كَبَداً، وهذه الأقوال ضعيفة، والأوَّل هو الظاهر[١].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «أيحسبُ» عائدٌ على الإنسان، أي: هو لشدَّة شَكِيْمته وعزَّته وقوَّته يحسب أنَّه لا يقاومه أَحَدٌ، ولا يَقْدِر عليه؛ لاستعصامه بَعدَده وعُدَدِه.

«يقول» على سبيل الفَخْر: «أَهلكتُ مالاً لُبَداً» أي: في المكارم وما يَحصل به الثناءُ.

«أيحسبُ» أنَّ أعماله تخفى، وأنَّه لا يَرَاه أحدٌ، ولا يطَّلع عليه في إنفاقه ومَقْصِد ما يبتغيه ممَّا ليس لوجهِ الله منه شيء، بل عليه حَفَظةٌ يَكتبون ما يَصدُر منه مِن عملٍ في حياته ويُحصونه إلى يوم الجزاء.

وقيل: الضمير في «أيحسب» لبعض صناديدِ قريش، وقيل: هو أبو الأشدّ أسيد بنُ كَلَدَة الجُمَحِي، وقيل: عمرو بن عَبْد وُدّ، وكلٌّ مِن هذين له بأسٌ وشدَّة، يُحكَى أنَّ أبا الأشدّ كان يُبْسَط له الأديمُ العكاظيّ فيَقوم عليه ويقول: مَن أزالني عنه، فله كذا، فلا يُنزَع إلا قِطَعاً، ويَبقى موضع قَدَمَيْه[٢].

وقيل: الوليد بنُ المغيرة؛ وقيل: الحارث بنُ عامر بنِ نوفل كان إذا أذنبَ استفتى الرَّسولَ ﷺ، فيَأمره بالكفَّارة، فقال: لقد أَهلكتُ مالاً لُبَداً في الكفَّارات والنفقات منذ تبعتُ محمَّداً[٣]؟!.

وقرأ الجمهور: «لُبَداً» بضمِّ اللام وفتح الباء، وأبو جعفر: بشَدِّ الباء[٤]، وعنه

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٢، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤٠٨-٤١٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٤، والبغوي ٤/ ٤٨٨-٤٨٩، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٥، وزاد المسير ٩/ ١٢٩.

(٤) أي: «لُبَّداً». المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٥، وقراءته في النشر ٢/ ٤٠١.

وعن زيد بن عليٍّ: «لُبْداً» بسكون الباء[١]، ومجاهد وابنُ أبي الزِّناد: بضمِّهما[٢].

ثم عدَّد تعالى نِعَمَه على الإنسان، فقال: «أَلَم نَجْعَل له عينين» يُبصِر بهما «ولساناً» يُفصِح عمَّا في باطنه «وشَفَتين» يُطْبِقهما على فِيْهِ، ويَستعين بهما على الأكل والشُّرب والنَّفْخ وغير ذلك.

«وهَدَيناهُ النَّجْدَين» قال ابنُ مسعود وابنُ عباس والجمهور: طريق الخير والشَّرّ، وقال ابنُ عبَّاس أيضاً وعليٌّ وابنُ المسيّب والضَّحَّاك: الثَّديان؛ لأنَّهما كالطَّرِيقين لحياة الوَلَد ورِزْقه[٣].

«فلا اقْتَحَم العَقَبة» أي: لم يَشكُر تلك النِّعَم السَّابِغَة، و«العَقَبة» استعارةٌ لهذا العمل الشاقّ على النَّفْس؛ مِن حيث هو بذلُ مالٍ، تشبيهٌ بعَقَبة الجبل، وهو ما صَعُبَ منه وكان صعوداً، فإنَّه يَلحقه مشقَّةٌ في سلوكها، واقتحمها: دَخَلها بسرعةٍ وضَغْطٍ وشِدَّة، والقَحْمة: الشِّدَّةُ، والسَّنَةُ الشَّديدة، ويقال: قَحَمَ في الأَمْر قُحُوماً: رَمَى نفسه فيه مِن غير رويَّة.

والظاهر أنَّ «لا» للنفي، وهو قولُ أبي عبيدة والفرَّاء والزَّجَّاج، كأنَّه قال: وَهَبْنا له الجوارحَ، ودَلَلْناه على السبيل، فما فَعَلَ خيراً، أي: فلم يَقتحم[٤].

قال الفرَّاء والزَّجَّاج: ذكرَ «لا» مرَّة واحدة، والعربُ لا تَكاد تُفرِد «لا» مع الفعل الماضي حتى تعيدَ، كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] وإنَّما أفردها؛ لدلالة آخِرِ الكلام على معناه، فيجوز أن يكون قوله: «ثُمَّ كان مِن الذين آمنوا» قائماً مقامَ التكرير، كأنَّه قال: «فلا اقتحمَ العَقَبة» ولا آمَنَ.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٥، والقراءات الشاذة ص١٧٤.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٦-٢٩٧، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤١٥-٤١٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥، وينظر زاد المسير ٩/ ١٣٣، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ٢٦٤-٢٦٥، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٥/ ٣٢٩.

وقيل: هو جارٍ مجرى الدُّعاء، كقوله: لا نَجا ولا سَلِم[١]، دعاءٌ عليه أنْ لا يفعل خيراً.

وقيل: هو تحضيضٌ بـ «ألَا»، ولا نعرف أنَّ «لا» وَحْدَها تكون للتحضيض وليس معها الهمزة.

وقيل: «العقبة» جهنَّم لا يُنجي منها إلا هذه الأعمال، قاله الحسن، وقال ابنُ عبَّاس ومجاهد وكعب: جبل جهنَّم[٢].

وقال الزمخشريُّ: بعد أن انتحلَ مقالةَ الفرَّاء والزجَّاج: هي بمعنى «لا» متكرِّرة في المعنى؛ لأنَّ معنى «فلا اقْتَحَم العَقَبة»: فلا فكّ رقبةً ولا أطعمَ مسكيناً، ألَا تَرَى أنَّه فسَّر اقتحامَ العَقَبَة بذلك[٣]. انتهى. ولا يتمُّ له هذا إلَّا على قراءة مَن قَرَأ: «فَكّ» فعلاً ماضياً.

وقرأ ابنُ كثير والنَّحوِيَّان: «فَكَّ» فعلاً ماضياً «رقبةً» نصب، «أو أَطعَمَ» فعلاً ماضياً[٤]، وباقي السبعة: «فَكُّ» مرفوعاً «رقبةٍ» مجروراً، «أو إطعامٌ» مصدر منوَّن معطوف على «فَكُّ».

وقرأ عليٌّ وأبو رجاء كقراءة ابنِ كثير إلَّا أنَّهما قرأا: «ذا مسغبة» بالألف[٥].

وقرأ الحسن وأبو رجاء أيضاً: «أو إطعام في يوم ذا» بالألف، ونصب «ذا» على المفعول[٦]، أي: إنساناً ذا مسغبة، و«يتيماً» بَدَل منه أو صفة.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٧-٢٩٨، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٤-٢٦٥، وللزجاج ٥/ ٣٢٩، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٢١.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٢٩٩، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٤/ ٤٢٠.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥٥.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٤، والقراءة في السبعة ص٦٨٦، والتيسير ص٢٢٣، والنشر ٢/ ٤٠١.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٥، والقراءة في المحتسب ٢/ ٣٦٢.

وقرأ بعضُ التابعين: «فَكُّ رقبةٍ» بالإضافة، «أو أَطْعَمَ» فعلاً ماضياً[١].

ومَن قَرأ «فَكُّ» بالرَّفع، فهو تفسيرٌ لاقتحام العَقَبة، والتقدير: وما أدراك ما اقتحامُ العقبة؟

ومَن قَرَأَ «فَكَّ» فِعْلاً ماضياً فلا يحتاج إلى تقدير مضاف، بل يكون التعظيمُ للعَقَبة نفسها، ويَجيءُ «فَكَّ» بَدَلاً مِن «اقْتَحَم» قاله ابنُ عطيَّة[٢].

وفَكُّ الرّقبةِ تخليصُها مِن الأَسْرِ والرِّقِّ، «ذا مَقْرَبة» لتجتمعَ صَدَقةٌ وصِلَةٌ، و«أو» هنا للتنويع، ووصف «يوم» بـ «ذي مسغبة» على الاتّساع، «ذا متربة» قال سفيان: هم المَطروحون على ظَهر الطريق قُعوداً على التراب لا بيوت لهم. وقال ابنُ عباس: هو الذي يَخرُج مِن بيته، ثم يقلب وجهه إليه مستيقناً أنَّه ليس فيه إلَّا التراب[٣].

«ثم كان مِن الذين آمنوا» هذا معطوف على قوله: «فلا اقتحم» ودخلت «ثم» لتراخي الإيمان في الرتبة والفضيلة لا للتراخي في الزمان؛ لأنَّه لا بُدَّ أنْ يَسبق تلك الأعمالَ الحسنةَ الإيمانُ، إذ هو شرطٌ في صحَّة وقوعها مِن الطائع،

أو يكون المعنى: ثمَّ كان في عاقبة أَمْرِه مِن الذين وَافَوا الموتَ على الإيمان، إذِ الموافاة عليه شَرْطٌ في الانتفاع بالطاعات.

أو يكون التراخي في الذِّكْر، كأنَّه قيل: ثم اذكُر أنَّه «كان مِن الذين آمنوا وتواصوا بالصبر» أي: أوصى بعضُهم بعضاً بالصَّبْر على الإيمان والطاعات، وعن المعاصي، «وتَواصَوا بالمرحمة» أي: بالتعاطف والتراحم، أو بما يؤدِّي إلى رحمة الله، والمَيمنة والمَشْأَمة تقدَّم القولُ فيهما في «الواقعة»[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٦، وينظر تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٤، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٩، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبريّ ٢٤/ ٤٢٦-٤٣٠.

(٤) عند تفسير الآيات (٨-٩-١٠) منها.

وقرأ أبو عَمرو وحمزة وحفص: «مُؤْصَدة» بالهمز هنا وفي «الهُمَزة»[١] فيَظهر أنَّه مِن: آصَدْتُ، قيل: ويجوز أن يكون من: أَوْصَدْتُ، وهُمزَ على حدِّ من قرأ: «بالسؤوق» مهموزاً[٢].

وقرأ باقي السبعة: بغير همزٍ، فيظهر أنه من: أوصدت، قيل: يجوز أن يكون من: آصَدْت، وسهَّل الهمزة، وقال الشاعر:

قوماً يُعالِج قُمَّلاً أبناؤهم وسَلاسِلاً حِلقاً وباباً مُؤْصَدا[٣].

(١) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، والكلام من تفسير القرطبي ٢٢/ ٣٠٧، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٦، والقراءة في السبعة ص٦٨٦، والتيسير ص٢٢٣، وهي أيضاً قراءة يعقوب وخلف. النشر ١/ ٣٩٥.

(٢) وهي الآية (٣٣) من سورة ﴿صٓ﴾، وسلفت القراءة ثمَّة.

(٣) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٢٣١، من قصيدة قالها لكسرى حين أراد من بني ضبيعة رهائن، لمَّا أغار الحارث بن وعلة على بعض السواد، فأخذ كسرى قيس بن مسعود ومن وُجد من بكر فجعل يحبسهم، فقال له الأعشى هذه الأبيات.

(٩٠) سورة البلد مكية وآياتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة (أم القرى) في حال كون الساكن فيها حلالاً، لينبّه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها، قال مجاهد: ﴿ لا أُقسم بهذا البلد﴾ لا، رد عليهم. أقسم بهذا البلد، وقال ابن عباس: ﴿ لا أقسم بهذا البلد﴾ يعني مكة ﴿ وأنت حِلٌّ بهذا البلد﴾ قال: أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به، وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك، وقال الحسن البصري: أحلها الله له ساعة من نهار، وهذا المعنى قد ورد به الحديث المتفق على صحته: « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب »[1]. وفي لفظ آخر: « فإن أحد ترخّص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم »، وقوله تعالى: ﴿ ووالد وما ولد﴾ قال ابن عباس: الوالد الذي يلد ﴿ وما ولد﴾ العاقر الذي لا يولد له، وقال مجاهد وقتادة والضحّاك: يعني بالوالد آدم ﴿ وما ولد﴾ ولده، وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن، وهو (آدم) أبو البشر وولده، واختار ابن جرير أنه عام في كل ولد وولدة وهو محتمل أيضاً، وقوله تعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ روي عن ابن مسعود وابن عباس: يعني منتصباً، زاد ابن عباس: منتصباً في بطن أمه، والكبد: الاستواء والاستقامة، ومعنى **هذا القول: لقد خلقناه سوياً مستقيماً، كقوله تعالى: ﴿ الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾**، وكقوله تعالى: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ وقال ابن عباس ﴿ في كبد﴾ في شدة خلق،

---

(١) أخرجه الشيخان وأصحاب السنن.

ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه، وقال مجاهد: ﴿في كبد﴾ نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، يكبد في الخلق، وهو كقوله تعالى: ﴿حملته أمّه كرهاً ووضعته كرهاً﴾ فهو يكابد ذلك، وقال سعيد بن جبير: ﴿في كبد﴾ في شدة وطلب معيشة، وقال قتادة: في مشقة، وقال الحسن: يكابد أمر الدنيا وأمر من الآخرة، وفي رواية: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة، واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها.

وقال تعالى: ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ قال الحسن البصري: يعني يأخذ ماله، وقال قتادة: يظن أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه، وقال السدي: ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ قال: الله عزَّ وجلَّ يظن أن لن يقدر عليه ربه، وقوله تعالى: ﴿يقول أهلكت مالاً لبداً﴾ أي يقول ابن آدم: أنفقت ﴿مالاً لبداً﴾ أي كثيراً قاله مجاهد والحسن، ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ قال مجاهد: أي أيحسب أن لم يره الله عزَّ وجلَّ، وكذا قال غيره من السلف، وقوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ أي يبصر بهما ﴿ولساناً﴾ أي ينطق به فيعبر عما في ضميره ﴿وشفتين﴾ يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالاً لوجهه وفمه. وقد روى الحافظ ابن عساكر عن مكحول قال، قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: يا ابن آدم، قد أنعمت عليك نعماً عظاماً، لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما، وجعلت لهما غطاء، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك، وإن رأيت ما حرمت عليك، فأطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لساناً وجعلت له غلافاً، فانطق بما أمرتك، وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجاً وجعلت لك ستراً، فأصب بفرجك ما أحللت لك، فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، يا ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي»[1]. ﴿وهديناه النجدين﴾: الطريقين، قال ابن مسعود: الخير والشر، وعن أبي رجاء قال: سمعت الحسن يقول: ﴿وهديناه النجدين﴾ قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يا أيها الناس إنهما النجدان: نجد الخير، ونجد الشر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»[2]، وقال ابن عباس ﴿هديناه النجدين﴾ قال: الثديين، قال ابن جرير: والصواب القول الأول، نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾.

فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

روى ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فلا اقتحم﴾ أي دخل ﴿العقبة﴾ قال: جبل في جهنم، وقال كعب الأحبار: هو سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: عقبة في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى، ﴿وما أدراك ما العقبة﴾؟ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال: ﴿فك رقبة *

(١) أخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي.
(٢) أخرجه ابن جرير عن الحسن مرسلاً.

أو إطعام﴾، وقال ابن زيد: ﴿فلا أقتحم العقبة﴾ أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير، ثم بينها فقال تعالى: ﴿وما أدراك ما العقبة * فك رقبة﴾ ، عن سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب – أي عضو – منها إرباً منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج » ، فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ فقال سعيد: نعم، فقال علي ابن الحسين لغلام له أفره غلمانه: ادع مطرفاً، فلما قام بين يديه، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله »[١] . وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم، وعن عمرو ابن عبسة أن النبي ﷺ قال: « من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله له بيتاً في الجنة، ومن أعتق نفساً مسلمة كانت فديته من جهنم، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة »[٢]. وفي الحديث: « من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة، ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار ، ومن أعتق زوجين في سبيل الله فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها »[٣] . وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد .

وقوله تعالى : ﴿أو إطعام في يوم ذي مسبغة﴾ قال ابن عباس: ذي مجاعة[٤] ، والسغب: هو الجوع، وقال النخعي: في يوم الطعامُ فيه عزيز ، وقال قتادة : في يوم مشتهى فيه الطعام، وقوله تعالى: ﴿يتيماً﴾ أي أطعم في مثل هذا اليوم يتيماً ﴿ذا مقربة﴾ أي ذا قرابة منه، كما جاء في الحديث الصحيح: « الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة »[٥]. وقوله تعالى: ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ أي فقيراً مدقعاً لاصقاً بالتراب، وهو الدقعاء أيضاً ، قال ابن عباس: ذا متربة هو المطروح في الطريق، الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب . وفي رواية : هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء ، وقال عكرمة: هو الفقير المدين المحتاج ، وقال سعيد بن جبير : هو الذي لا أحد له، وقال قتادة: هو ذو العيال، وكل هذه قريبة المعنى، وقوله تعالى: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبه، محتسب ثواب ذلك عند الله عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ أي كان من المؤمنين العاملين صالحاً . « المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم » ، كما جاء في الحديث: « الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . وعن عبد الله بن عمرو يرويه قال: « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا »[٦] ، وقوله تعالى: ﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين، ثم قال :

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والإمام أحمد .

(٢) أخرجه أحمد .

(٣) أخرجه أحمد أيضاً .

(٤) وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحّاك وقتادة وغيرهم .

(٥) أخرجه أحمد ورواه الترمذي والنسائي وإسناده صحيح . (٦) أخرجه أبو داود .

﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة﴾ أي أصحاب الشمال، ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ أي مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها، قال أبو هريرة ﴿مؤصدة﴾ أي مطبقة، وقال ابن عباس: مغلقة الأبواب، وقال مجاهد: أصد الباب أي أغلقه، وقال الضحّاك: ﴿مؤصدة﴾ حيط لا باب له، وقال قتادة ﴿مؤصدة﴾: مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد، وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان، وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا بالحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم أي أطبقوها، قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً[1] .

[آخر تفسير سورة البلد . ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم .

تفسير سورة البلد

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) ﴾ .

هذا قسم من الله عز وجل [١] بمكة أم القرى فى حال كون الساكن فيها حالا ؛ لينبه على عظمة قَدرها فى حال إحرام أهلها .

قال خَصِيف ، عن مجاهد : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ : لا رد عليهم ؛ أقسم بهذا البلد .

وقال شَبيب بن بشر ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ يعنى : مكة، ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ قال : أنت ــ يا محمد ــ يحل لك أن تقابل به . وكذا رُوى عن سعيد بن جُبير، وأبى صالح ، وعطية، والضحاك ، وقتادة ، والسدى ، وابن زيد .

وقال مجاهد : ما أصبت فيه فهو حلال لك .

وقال قتادة : ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ قال : أنت به من غير حَرَج ولا إثم .

وقال الحسن البصرى : أحلها الله له ساعة من نهار .

وهذا المعنى الذى قالوه قد وَرَد به الحديث المتفق على صحته : « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حَرَامٌ بحُرمَة الله إلى يوم القيامة ، لا يُعضَد شجره ولا يختلى خلاه . وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب» . وفى لفظ [آخر] [٢] : « فإن أحد تَرَخَّص بقتال رسول الله فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » [٣] .

وقوله: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾: قال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا ابن عطية ، عن شريك، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله:﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ : الوالد : الذى يلد ، وما ولد: العاقر الذى لا يولد له .

---

(١) فى أ : « تعالى » .   (٢) زيادة من م .

(٣) الحديث فى صحيح البخارى برقم (١٠٤، ١٠٥، ١٨٣٢، ٤٢٩٥) وصحيح مسلم برقم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضى الله عنه .

ورواه [ابن جرير و] (١) ابن أبى حاتم ، من حديث شريك ــ وهو ابن عبد الله القاضى ــ به .

وقال عكرمة : الوالد : العاقر ، وما ولد : الذى يلد . رواه ابن أبى حاتم .

وقال مجاهد ، وأبو صالح ، وقتادة ، والضحاك ، وسفيان الثورى ، وسعيد بن جبير ، والسدى ،والحسن البصرى،وخُصيف،وشرحبيل بن سعد وغيرهم: يعنى بالوالد آدم ،وما ولد ولده .

وهذا الذى ذهب إليه مجاهد وأصحابه حَسَنٌ قوى ؛ لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهى المساكن أقسم بعده بالساكن ، وهو آدم أبو البشر وولده .

وقال أبو عمران الجونى : هو إبراهيم وذريته . رواه ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

واختار ابن جرير أنه عام فى كل والد وولده . وهو محتمل أيضا .

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ : رُوى عن ابن مسعود،وابن عباس ، وعكرمة، ومجاهد، وإبراهيم النخعى ، وخَيْثَمة ، والضحاك ، وغيرهم : يعنى منتصبا ــ زاد ابن عباس فى رواية عنه ــ فى (٢) بطن أمه .

والكبد : الاستواء والاستقامة . ومعنى هذا القول : لقد خلقنا الإنسان سويا مستقيما كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار: ٦، ٧]، وكقوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤] .

وقال ابن [أبى نجيح] (٣) جريج وعطاء(٤)، عن ابن عباس : فى كبد ، قال : فى شدّة خُلق، ألم تر إليه . . . وذكر مولده ونبات أسنانه .

قال مجاهد : ﴿ فِي كَبَدٍ ﴾ : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة يتكبد فى الخلق ــ قال مجاهد : وهو كقوله : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وأرضعته كرها ، ومعيشته كره ، فهو يكابد ذلك.

وقال سعيد بن جبير : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ : فى شدة وطَلَب معيشة . وقال عكرمة : فى شدة وطول . وقال قتادة : فى مشقة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو عاصم ، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر ، سمعت محمد بن على أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله :﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ قال : فى قيامه واعتداله . فلم يُنكر عليه أبو جعفر .

وروى من طريق أبى مودود: سمعت الحسن قرأ هذه الآية : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ قال:يكابد أمرا من أمر الدنيا ،وأمرا من أمر الآخرة ــ وفى رواية :يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة .

---

(١) زيادة من أ . (٢) فى م ، أ : « منتصبا فى » . (٣) زيادة من م .

(٤) فى م ، أ : « عن عطاء » .

وقال ابن زيد : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ قال : آدم خلق فى السماء ، فسُمى ذلك الكَبَد.

واختار ابن جرير أن المراد [بذلك] (١) مكابدة الأمور ومشاقها .

وقوله : ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ : قال الحسن البصرى : يعنى أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يأخذ ماله .

وقال قتادة : ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ قال : ابن آدم يظن أن لن يُسأل عن هذا المال : من أين اكتسبه ؟ وأين أنفقه ؟

وقال السدى : ﴿ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ﴾ قال : الله عز وجل .

وقوله : ﴿ يقول أهلكت مالاً لُبدًا ﴾ أى : يقول ابن آدم : أنفقت مالا لبدا ، أى : كثيرا . قاله مجاهد [والحسن] (٢) ، وقتادة ، والسدى ، وغيرهم .

﴿ أيحسب أن لم يره أحدٌ ﴾ : قال مجاهد : أى أيحسب أن لم يره الله عز وجل . وكذا قال غيره من السلف .

وقوله : ﴿ ألم نجعل له عينين ﴾ أى : يبصر بهما ، ﴿ ولسانًا ﴾ أى : ينطق به ، فيُعبر عما فى ضميره ، ﴿ وشفتين (٣) ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالاً لوجهه وفمه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبى الربيع الدمشقى ، عن مكحول قال: قال النبى ﷺ: « يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، قد أنعمت عليك نعماً عظاما لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاءً ، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما . وجعلت لك لسانا ، وجعلت له غلافا ، فانطق بما أمرتك وأحللتُ لك ، فإن عَرَض لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجا ، وجعلت لك سترا ، فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عَرَض لك ما حرمت عليك فَأرْخ عليك سترك . يا ابن آدم ، إنك لا تحمل سخطى ، ولا تطيق انتقامى » (٤) .

﴿وهديناه النجدين ﴾: قال سفيان الثورى، عن عاصم، عن زرّ، عن عبد الله ــ هو ابن مسعود ــ: ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال : الخير والشر . وكذا رُوى عن على ، وابن عباس ، ومجاهد، وعكرمة ، وأبى وائل ، وأبى صالح ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وعطاء الخراسانى فى آخرين .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرنى ابن لَهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « هما نجدان ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » (٥) .

---

(١) زيادة من م . (٢) زيادة من م ، أ . (٣) فى م : ﴿ ولسانا وشفتين ﴾ .

(٤) تاريخ دمشق (١٩/٤٦ « المخطوط ») .

(٥) ورواه ابن عدى فى الكامل (٣/٣٥٦) من طريق ابن وهب .

تفرد به سنان بن سعد ـ ويقال : سعد بن سنان ـ وقد وثقه ابن معين . وقال الإمام أحمد والنسائى والجوزجانى : منكر الحديث . وقال أحمد : تركت حديثه لاضطرابه . وروى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ، ما أعرف منها حديثا واحدا . يشبه حديثه حديثَ الحسن ـ يعنى البصرى ـ لا يشبه حديثَ أنس .

وقال ابن جرير : حدثنى يعقوب ، حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء قال : سمعت الحسن يقول: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ قال : ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول : « يا أيها الناس ، إنهما النجدان ، نجد الخير ونجد الشر ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » (١) .

وكذا رواه حبيب بن الشهيد ، ويونس بن عبيد ، وأبو وهب ، عن الحسن مرسلا . وهكذا أرسله قتادة .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصارى ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا عيسى ابن عقال (٢) ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ قال : الثديين .

وروى عن الربيع بن خُثَيم (٣) ، وقتادة وأبى (٤) حازم ، مثل ذلك . ورواه ابن جرير عن أبى كُرَيْب ، عن وَكيع ، عن عيسى بن عقَال ، به . ثم قال : والصواب القول الأول .

ونظير هذه الآية قوله : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٢، ٣].

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠) ﴾ .

قال ابن جرير : حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، عن ابن عمر فى قوله : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ قال : جبل فى جهنم .

وقال كعب الأحبار : ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ : هو سبعون درجة فى جهنم . وقال الحسن البصرى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ ، قال: عقبة فى جهنم . وقال قتادة : إنها قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله عز وجل . وقال قتادة (٥) : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ . ثم أخبر عن اقتحامها فقال: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ ﴾ .

---

(١) تفسير الطبرى (٣٠/١٢٨) .

(٢) فى أ : « عفان » . (٣) فى أ : « خيثم » . (٤) فى م : « وابن » .

(٥) فى جميع النسخ : « وقال قتادة :وقوله ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾». وحذفنا « وقوله » ليستقيم المعنى. مستفادا من هامش ط . الشعب .

وقال ابن زيد : ﴿ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ أى : أفلا سلك الطريق التى فيها النجاة والخير . ثم بينها فقال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ ﴾ .

قرئ: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ بالإضافة، وقُرئ على أنه فعل ، وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا [١] القراءتين معناهما متقارب .

قال الإمام أحمد :حدثنا على [٢] بن إبراهيم،حدثنا عبد الله ـ يعنى ابن سعيد [٣] بن أبى هند ـ عن إسماعيل بن أبى حكيم ـ مولى آل الزبير ـ عن سعيد بن مرجانة : أنه سمع أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرْب منها إربا منه من النار ، حتى إنه ليعتق باليد اليد ، وبالرجل الرجل ، وبالفرج الفرج » . فقال على بن الحسين : أنتَ سَمعتَ هذا من أبى هُرَيرة ؟ فقال سعيد : نعم . فقال على بن الحسين لغلام له ـ أفْرَهَ غلمانه ـ : ادعُ مطْرَفاً . فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حُر لوجه الله.

وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى،من طرق ، عن سعيد بن مرجانة ، به [٤]. وعند مسلم أن هذا الغلام الذى أعتقه على بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم .

وقال قتادة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن مَعدانَ بن أبى طلحة ، عن أبى نَجيح [٥] قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « أيما مسلم أعتقَ رَجُلا مسلما ، فإن الله جاعلٌ وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام محرره من النار ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة ، فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » .

رواه ابن جرير هكذا [٦] . وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عَبَسَةَ السلمى ، رضى الله عنه .

قال الإمام أحمد : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقية ،حدثنى بَحير بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن كثير بن مرة ، عن عمرو بن عَبَسَة [٧] : أنه حدثهم : أن النبى ﷺ قال : « من بنى مسجدا ليذكر الله فيه ، بنى الله له بيتا فى الجنة . ومن أعتق نفساً مسلمة ، كانت فديته من جهنم . ومن شاب شيبة فى الإسلام ، كانت له نورا يوم القيامة » [٨] .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا حَريز ؛ عن سُليم بن عامر : أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عَبَسَة [٩] : حَدِّثنا حديثاً ليس فيه تَزَيّد ولا نسيان . قال عمرو : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار ، عُضْوا بعضو . ومن

---

(١) فى م : « وكلا » . (٢) فى م : « حدثنا مكى » . (٣) فى م : « سعد » .

(٤) المسند (٢/ ٤٢٢) وصحيح البخارى برقم (٢٥١٧،٦٧١٥) وصحيح مسلم برقم (١٥٠٩) وسنن الترمذى برقم (١٥٤١) وسنن النسائى الكبرى برقم (٤٨٧٥) .

(٥) فى أ : « عن ابن أبى نجيح » .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/١٢٩) ورواه النسائى فى السنن الكبرى برقم (٤٨٧٩) من طريق قتادة .

(٧) فى أ : « ابن عنبسة » .

(٨) المسند (٤/٣٨٦) .

(٩) فى أ : « عنبسة » .

شاب شيبة فى سبيل الله ، كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ ، كان كمعتق رقبة من بنى إسماعيل » (١) .

وروى أبو داود ، والنسائى بعضه (٢) .

طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الفرج ،حدثنا لقمان ، عن أبى أمامة ، عن عمرو بن عَبَسَةَ (٣) : قال السلمى(٤) : قلت له : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وَهم . قال: سمعته يقول : « من وُلد له ثلاثة أولاد فى الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحِنْثَ ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رَمى بسهم فى سبيل الله ، بلغ به العدو ، أصاب أو أخطأ ، كان له عتق رقبة . ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ، ومن أنفق زوجين فى سبيل الله، فإن للجنة ثمانية أبواب ، يدخله الله من أى باب شاء منها » (٥) .

وهذه أسانيد جيدة قوية ، ولله الحمد [والمنة] (٦) .

حديث آخر : قال أبو داود : حدثنا عيسى بن محمد الرملى ، حدثنا ضَمْرة ، عن ابن أبى عَبلَة، عن الغريف بن الديلمى قال : أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له : حدثنا حَديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان. فغضب وقال: إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق فى بيته ،فيزيد وينقص. قلنا :إنما أردنا حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ .قال: أتينا رسول الله ﷺ فى صاحب لنا قد أوجب ــ يعنى النار ــ بالقتل ، فقال : « أعتقوا عنه يُعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار » .

وكذا رواه النسائى من حديث إبراهيم بن أبى عَبلة ، عن الغَريف بن عياش الديلمى ، عن واثلة، به(٧) .

حديث آخر : قال أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن قيس الجذامى ، عن عقبة بن عامر الجهنى: أن رسول الله ﷺ قال:« من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار » (٨).

وحدثنا عبد الوهاب الخفاف ، عن سعيد ، عن قتادة قال : ذُكِر أن قيسا الجذامى حَدّث عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « من أعتق رقبة مؤمنة فهى فكاكه من النار » (٩) .

تفرد به أحمد من هذا الوجه .

حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا : حدثنا عيسى بن عبد

(١) المسند (٤/١١٣) .
(٢) سنن أبى داود برقم (٣٩٦٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (٤٨٨٥،٤٨٨٦) .
(٣) فى أ : « عنبسة » . (٤) فى م : « السلمى قال » .
(٥) المسند (٤/٣٨٦) .
(٦) زيادة من أ .
(٧) سنن أبى داود برقم (٣٩٦٤) وسنن النسائى الكبرى برقم (٤٨٩٠،٤٨٩١) .
(٨) المسند (٤/١٥٠) .
(٩) المسند (٤/١٤٧) .

الرحمن البجلى ـ من بنى بجيلة ـ من بنى سليم ـ عن طلحة ـ قال أبو أحمد : حدثنا طلحة بن مصرف ـ عن عبد الرحمن بن عوسجة ، عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، علمنى عملا يدخلنى الجنة . فقال : « لئن كنت أقصرتَ الخطبة لقد أعرضت المسألة . أعتق النسمة ، وفك الرقبة » . فقال : يا رسول الله ، أو ليستا بواحدة ؟ قال : « لا ، إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين فى عتقها . والمنحة الوكوف ، والفىء على ذى الرحم الظالم ؛ فإن لم تُطق ذلك فأطعم الجائعَ ، واسقِ الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير »[١] .

وقوله : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾: قال ابن عباس : ذى مجاعة . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وغير واحد . والسَّغَب : هو الجوع .

وقال إبراهيم النَّخَعِى : فى يومٍ الطعامُ فيه عزيزٌ .

وقال قتادة : فى يوم يُشتهى فيه الطعام .

وقوله : ﴿ يَتِيماً ﴾ أى : أطعم فى مثل هذا اليوم يتيما ، ﴿ ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أى : ذا قرابة منه . قاله ابن عباس، وعكرمة، والحسن، والضحاك ،والسدى .كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن حفصة بنت سيرين ،عن سليمان بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الصدقة على المسكين [٢] صدقة ، وعلى ذى الرحم اثنتان ، صدقة وصلة » .

وقد رواه الترمذى والنسائى [٣] ، وهذا إسناد صحيح .

وقوله : ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أى : فقيرا مُدقعاً لاصقا بالتراب ، وهو الدقعاء أيضا .

قال ابن عباس : ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ هو المطروح فى الطريق [٤]، الذى لا بيت له ، ولا شىء يقيه من التراب ـ وفى رواية : هو الذى لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ، ليس له شىء ـ وفى رواية عنه : هو البعيد التربة .

قال ابن أبى حاتم : يعنى الغريب عن وطنه .

وقال عكرمة : هو الفقير المديون المحتاج .

وقال سعيد بن جبير : هو الذى لا أحد له .

وقال ابن عباس ، وسعيد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : هو ذو العيال .

وكل هذه قريبة المعنى .

وقوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا [٥] ﴾ أى : ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة [٦] ،

---

(١) المسند (٤/٢٩٩) .

(٢) فى أ : « على المسلمين » .

(٣) المسند (٤/٢١٤) وسنن الترمذى برقم (٦٥٨) وسنن النسائى (٥/٩٢) وقال الترمذى : « حديث سلمان بن عامر حديث حسن » .

(٤) فى م : « بالطريق » . (٥) فى م : « آمنوا وعملوا الصالحات » . (٦) فى أ : « الظاهرة » .

مؤمنٌ بقلبه ، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل . كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:١٩] وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ الآية (١) [النحل:٩٧] .

وقوله : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ أى : كان من المؤمنين العاملين صالحا ، المتواصين بالصبر على أذى الناس ، وعلى الرحمة بهم . كما جاء فى الحديث : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (٢) . وفى الحديث الآخر : « لا يَرْحَم اللهُ من لا يَرْحَم الناس» (٣) .

وقال أبو داود :حدثنا [أبو بكر] (٤) بن أبى شيبة ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نَجيح ، عن ابن عامر(٥)، عن عبد الله بن عَمْرو ــ يرويه ــ قال : « من لم يَرْحم صغيرنا ويَعْرِف حَقّ كبيرنا ،فليس منا » (٦) .

وقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أى : المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ أى : أصحاب الشمال ، ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أى : مطبقة عليهم ، فلا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظى ، وعطية العوفى ، والحسن ، وقتادة ، والسدى : ﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أى : مطبقة ــ قال ابن عباس : مغلقة الأبواب . وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش : أى أغلقه .

وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ .

وقال الضحاك :﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ : حيط لا باب له .

وقال قتادة : ﴿ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

وقال أبو عمران الجونى : إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يَخاف الناس فى الدنيا شره ، فأوثقوا فى الحديد ، ثم أمر بهم إلى جهنم ، ثم أوصدوها عليهم ، أى: أطبقوها ــ قال : فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا ، ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غَمْض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا . رواه ابن أبى حاتم .

آخر تفسير سورة « البلد » ولله الحمد والمنة

---

(١) فى م : « الآيات » .

(٢) رواه الإمام أحمد فى المسند (٢/ ١٦٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه برقم (٢٣١٩) من حديث جرير رضى الله عنه .

(٤) زيادة من أ . (٥) فى أ : « جابر » .

(٦) سنن أبى داود برقم (٤٩٤٣) .

تفسير سورة البلد

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)

هذا قسم من الله -عز وجل- بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالًا، لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

قال خصيف عن مجاهد ﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾: لا: رد عليهم أقسم بهذا البلد.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾، يعني: مكة، ﴿**وأنت حل بهذا البلد**﴾، قال: أنت - يا محمد - يحل لك أن تقابل[١] به وكذا رُوي عن سعيد بن جُبَير، وأبي صالح، وعطية، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك.

وقال قتادة: ﴿**وأنت حل بهذا البلد**﴾، قال: أنت به من غير حَرَج ولا إثم.

وقال الحسن البصري: أحلها الله له ساعة من نهار.

وهذا المعنىٰ الذي قالوه قد وَرَد به الحديث المتفق علىٰ صحته(٢٥): «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حَرَام بحُرمَة الله إلىٰ يوم القيامة، لا يُعضَد شجره ولا يختلىٰ خلاه. وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب**». وفي لفظ: «**فإن أحد تَرَخَّص بقتال رسول الله فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم**».

---

(٢٥) تقدم تخريجه في سورة البقرة، آية: (١٢٦).

---

[١] - في خ: تقاتل.

وقوله : ﴿ **ووالد وما ولد** ﴾ ، قال ابن جرير(٢٦) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن خُصَيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ووالد وما ولد** ﴾ ، الوالد : الذي يلد ، وما ولد : العاقر الذي لا يولد له .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث شريك - وهو ابن عبد الله القاضي به .

وقال عكرمة : الوالد : العاقر ، وما ولد : الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم .

وقال مجاهد ، وأبو صالح ، وقتادة ، والضحاك ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، والحسن البصري ، وخُصَيف ، وشرحبيل بن سعد وغيرهم : يعني بالوالد : آدم ، وما ولد : ولده .

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حَسَنٌ[١] قوي ؛ لأنه تعالىٰ لما أقسم بأم القرىٰ وهي المساكن أقسم بعده بالساكن ، وهو آدم أبو البشر وولده .

وقال أبو عمران الجوني : هو إبراهيم وذريته . رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم .

واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده . وهو محتمل أيضًا .

وقوله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ : رُوي عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وخيثمة ، والضحاك ، وغيرهم : يعني منتصبًا - زاد ابن عباس في رواية عنه - في بطن أمه .

والكبد : الاستواء والاستقامة . ومعنىٰ هذا القول : لقد خلقنا الإنسان سويًّا مستقيمًا كقوله : ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك** ﴾ وكقوله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ وقال ابن جريج وعطاء ، عن ابن عباس : في كبد ، قال[٢] : في شدَة خلق ، ألم تر إليه ... وذكر مولده ونبات أسنانه .

وقال مجاهد : ﴿ **في كبد** ﴾ : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة يتكبد في الخلق - قال مجاهد : وهو كقوله : ﴿ **حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا** ﴾ ، وأرضعته كرهًا ، ومعيشته كره ، فهو يكابد ذلك .

وقال سعيد بن جبير[٣] : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ : في شدة وَطَلَب معيشة . وقال عكرمة : في شدة وطول . وقال قتادة : في[٤] مشقة .

(٢٦) تفسير الطبري (١٩٥/٣٠) .

[١] - في خ : حق .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو عاصم ، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر ، سمعت محمد بن علي أبا[١] جعفر الباقر سأل رجلًا من الأنصار عن قول الله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ قال : في قيامه واعتداله ، فلم ينكر عليه أبو جعفر .

وروي من طريق أبي مودود : سمعت الحسن(٢٧) قرأ هذه الآية : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ ، قال : يكابد أمرًا من أمر الدنيا ، وأمرًا من أمر الآخرة - وفي رواية : يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة .

وقال ابن زيد : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في كبد** ﴾ قال : آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد

واختار ابن جرير أن المراد مكابدة الأمور ومشاقها .

وقوله : ﴿ **أيحسب [ ][٢] أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ . [قال الحسن البصري : يعني ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ يأخذ ماله][٣] .

وقال قتادة : ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ ، قال : ابن آدم يظن أن لن يُسأل عن هذا المال : من أين اكتسبه ؟ وأين أنفقه ؟ .

وقال السدي : ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ ؟ قال : الله عز وجل .

وقوله : ﴿ **يقول أهلكت مالًا لبدًا** ﴾ ، أي : يقول ابن آدم : أنفقت مالًا لبدًا ، [أي : كثيرًا][٤] قاله مجاهد ، وقتادة والسدي وغيرهم .

﴿ **أيحسب أن لم يره أحد** ﴾ ، قال مجاهد : أي[٥] أيحسب أن لم يره الله عز وجل . وكذا قال غيره من السلف .

وقوله : ﴿ **ألم نجعل له عينين** ﴾ ، أي : يبصر بهما ، ﴿ **ولسانًا** ﴾ ، أي : ينطق به ، فيُعبِّر عما في ضميره ، ﴿ **وشفتين** ﴾ يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالًا لوجهه وفمه[٦] .

وقد روى الحافظ ابن عساكر(٢٨) في ترجمة أبي الربيع الدمشقي ، عن مكحول قال : قال

(٢٧) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٥٩٤/٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد بنحوه .

(٢٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦/١٩ - مخطوط) .

[١] - في خ : أخبرنا .
[٢] - في ز ، خ : الإنسان .
[٣] - ما بين المعكوفين مكانه في ز : « قاله » .
[٤] - مكانه في ز : لبدًا .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : وبسمه .

النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقول اللّٰه تعالىٰ : يا ابن آدم ، قد أنعمت عليك نعمًا عظامًا لا تحصي عددها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما . وجعلت لهما غطاءهما**[١] ، [**فانظر بعينيك إلىٰ ما أحللت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما**][٢] . **وجعلت لك لسانًا ، وجعلت له غلافًا ، فانطق بما أمرتك وأحللت لك ، فإن عَرَضَ لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجًا ، وجعلت لك سترًا ، فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عَرَض لك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك . يا ابن آدم ، إنك لا تحمل سخطي ، ولا تطيق انتقامي** » .

﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ، قال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد اللّٰه - هو ابن مسعود - : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ، قال : الخير والشر . وكذا رُوي عن علي ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبي وائل ، وأبي صالح ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وعطاء الخراساني في آخرين .

وقال عبد اللّٰه بن وهب(٢٩) : أخبرني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هما نجدان ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير** » .

تفرد به سنان بن سعد - ويقال : سعد بن سنان - وقد وثقه ابن معين .

وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني : منكر الحديث . وقال أحمد : تركت حديثه لاضطرابه . وروى خمسة عشر حديثًا منكرة كلها ، ما أعرف منها حديثًا واحدًا . يشبه حديثُه حديثَ الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديثَ أنس .

وقال ابن جرير(٣٠) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن[٣] علية ، عن أبي رجاء قال : سمعت الحسن يقول : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ قال : ذكر لنا أن نبي اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كان يقول : « **يا أيها الناس ؛ إنهما النجدان ، نجد الخير ونجد الشر ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير** » .

وكذا رواه حبيب بن الشهيد، ويونس بن عبيد، وأبو وهب عن الحسن مرسلًا، وهكذا

---

(٢٩) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (١١٩٣/٣) من طريق ابن وهب بهذا الإسناد في ترجمة سعد بن سنان.

(٣٠) تفسير الطبري (٢٠٠/٣٠) .

---

[١] - في ت : غطاء .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : أبو .

أرسله قتادة(٣١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عيسىٰ بن عقال[١] ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ ، قال : الثديين .

وروي عن الربيع بن خُثَيم ، وقتادة وأبي حازم ، مثل ذلك . ورواه ابن جرير(٣٢) عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن عيسىٰ بن عقَال[٢] ، به ثم قال : والصواب القول الأول .

ونظير هذه الآية قوله[٣] : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا** ﴾ .

فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَـٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

قال ابن جرير(٣٣) : حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد ، حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن عطية[٤] .

عن ابن عمر في قوله : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ ، قال : جبل في جهنم [ ][٥] .

وقال كعب الأحبار : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ : هو سبعون درجة في جهنم . وقال الحسن البصري : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ ، قال : عقبة في جهنم . وقال قتادة : إنها قحمة[٦] شديدة فاقتحموها بطاعة الله عز وجل . وقال قتادة : وقوله[٧] : ﴿ **وما أدراك ما العقبة** ﴾ ثم أخبر[٨]

---

(٣١) تفسير الطبري (٣٠/٢٠١) عن قتادة مرسلًا .

(٣٢) تفسير الطبري (٣٠/٢٠١) .

(٣٣) تفسير الطبري (٣٠/٢٠١) .

---

[١] - في ز : عفان .

[٢] - في ز : عال . كذا .

[٣] - في ز : بقوله .

[٤] - في ز : أبي عطية .

[٥] - في ز : أزل .

[٦] - في ز : فحمة .

[٧] - سقط من ت .

[٨] - في ز : فسر .

عن اقتحامها فقال ﴿ **فك رقبة أو إطعام** ﴾ .

وقال ابن زيد : ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ ، أي : أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير . ثم بينها[١] فقال : ﴿ **وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام** ﴾ .

قرئ ﴿ **فك رقبة** ﴾ بالإضافة ، وقُرئ على أنه فعل ، وفيه ضمير الفاعل ، والرقبة مفعوله . وكلتا[٢] القراءتين معناهما متقارب .

قال الإمام أحمد(٣٤) : حدثنا علي بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله - يعني ابن سعيد بن أبي هند - عن إسماعيل بن أبي حكيم - مولى آل الزبير - عن سعيد بن مرجانة : أنه سمع أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل[٣] إرب منها إربًا منه من النار ، حتى إنه ليعتق باليد اليد ، وبالرجل الرجل ، وبالفرج الفرج** » . فقال علي بن الحسين : أنتَ سَمعتَ هذا من أبي هُرَيرة ؟ فقال سعيد : نعم . فقال علي بن الحسين لغلام له : - أفْرَهَ غلمانه - ادع مطرفًا . فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حر لوجه الله .

وقد رواه البخاري(٣٥) ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن سعيد بن مرجانة ، به . وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه عليٌّ بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم .

وقال قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مَعدانَ بن أبي طلحة ، عن أبي نَجِيح قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيما مسلم أعتقَ رَجُلًا مسلمًا ، فإن الله جاعلٌ وفاء كل عظم من عظامه عظمًا من عظام محرره من النار ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل وفاء[٤] كل عظم من عظامها عظمًا من عظامها من النار » .

---

(٣٤) المسند (٤٢٢/٢) هكذا . وأخرجه (٤٢٠/٢) فجعل (مكى) مكان (على) والذي في الأطراف (٧/ ٢٥٧) مكى .

(٣٥) صحيح البخاري ، كتاب : العتق ، باب : العتق وفضله ، حديث (٢٥١٧) (١٤٦/٥) ، وطرفه في [٦٧١٥] . ومسلم في كتاب : العتق ، باب : فضل العتق ، حديث (٢١ - ١٥٠٩/٢٤) (٢١٢/١٠ ، ٢١٣) . والترمذي في كتاب : النذور والأيمان ، باب : ما جاء في ثواب من أعتق رقبة ، حديث (١٤٥١) (٢٥٩/٥ - ٢٦٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب : العتق ، باب : فضل العتق ، حديث (٤٨٧٤ - ٤٨٧٦) (١٦٨/٣) .

---

[١] - في ز : يثنيها . [٢] - في ز : كلا .

[٣] - في ز : كل . [٤] - في ز : وقاء .

رواه ابن جرير(٣٦) هكذا. وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة[١] السلمي - رضي الله عنه.

قال الإمام أحمد(٣٧): حدثنا حيوة بن شُرَيح، حدثنا بقية، حدثني بَحِير[٢] بن سعد، عن خالد ابن معدان، عن كثير بن مُرَّة، عن عمرو بن عَبَسَة[٣]: أنه حدثهم: أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: « **من بنىٰ مسجدًا ليذكر اللَّه فيه، بنىٰ اللَّه له بيتًا في الجنة. ومن أعتق نفسًا مسلمة، كانت فديته من جهنم. ومن شاب شيبة في الإِسلام، كانت له نورًا يوم القيامة** ».

(طريق أخرىٰ)، قال أحمد (٣٨): حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا حَريز[٤]؛ عن سُليم بن عامر: أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عَبَسَة[٥]: حَدِّثنا حديثًا ليس فيه تَزَيُّدٌ ولا نسيان. قال عمرو: سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول: « **من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار، عضوًا بعضو. ومن شاب شيبة في سبيل اللَّه، كانت له نورًا يوم القيامة. ومن رمىٰ بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ، كان كمعتق رقبة من بني إسماعيل** » وروى أبو داود(٣٩) والنسائي بعضه.

(طريق أخرىٰ)، قال أحمد(٤٠): حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الفرج، حدثنا لقمان، عن أبي أمامة، عن عمرو بن عَبَسَة[٦] السلمي قال: قلت له: حدِّثنا حديثًا سمعته من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ليس فيه انتقاص ولا وَهَم. قال: سمعته يقول: « **من وُلد له ثلاثة أولاد في الإِسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث، أدخله اللَّه الجنة بفضل رحمته إياهم. ومن شاب شيبة في سبيل اللَّه كانت له نورًا يوم القيامة، ومن رَمَىٰ بسهم في سبيل اللَّه، بلغ به العدو، أصاب أو أخطأ، كان له عتق رقبة. ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق اللَّه بكل عضو منه**

(٣٦) تفسير الطبري (٣٠/٢٠٢).

(٣٧) المسند (٣٨٦/٤) (١٩٤٩٧).

(٣٨) المسند (١١٣/٤).

(٣٩) سنن أبي داود في كتاب: العتق، باب: أي الرقاب أفضل، حديث (٣٩٦٦) (٣٠/٤). والنسائي في « الكبرى » في كتاب: العتق، باب: فضل العتق، حديث (٤٨٨٤) (١٧٠/٣). كلاهما من طريق شرحبيل بن السمط عن عمرو بن عبسة - رضي الله عنهما - به مختصرًا. والحديث بطرقه في الصحيحة (١٧٥٦).

(٤٠) المسند (٣٨٦/٤) (١٩٤٩٥).

[١] - في ز: عنبسة.

[٢] - في ز: محمد.

[٣] - في ز: عنبسة.

[٤] - في ز: جرير.

[٥] - في ز: عنبسة.

[٦] - في ز: عنبسة.

عضوًا منه[١] **من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله ، فإن للجنة ثمانية أبواب ، يدخله الله من أي باب شاء منها »** . وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد .

(حديث آخر) ، قال أبو داود(٤١) : حدثنا عيسىٰ بن محمد الرملي ، حدثنا ضمرة ، عن ابن أبي عَبْلة ، عن الغريف بن الديلمي قال : أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له[٢] : حَدِّثنا حديثًا ليس فيه زيادة ولا نقصان . فغضب وقال : إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته ، فيزيد وينقص . قلنا : إنما أردنا حديثًا سمعته من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . قال : أتينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب - يعني النار - بالقتل ، فقال : « **أعتقوا عنه يُعتق الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار** » .

وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عَبلة ، عن الغَريف بن عياش الديلمي ، عن واثلة ، به .

(حديث آخر) ، قال أحمد(٤٢) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن قيس الجذامي ، عن عقبة بن عامر الجهني : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار** » .

وحدثنا عبد الوهاب الخفاف(٤٣) ، عن سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر أن قيسًا الجذامي حَدّث عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار** » . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(حديث آخر) ، قال الإمام أحمد(٤٤) : حدثنا يحيىٰ بن آدم وأبو أحمد قالا : حدثنا عيسىٰ بن عبد الرحمن البجلي - من بني بجيلة - من بني سليم - عن طلحة - قال أبو أحمد : حدثنا طلحة بن مصرف - عن عبد الرحمن بن عوسجة ، عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابي إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمني عملًا يدخلني الجنة . فقال : « **لئن كنت أقصرت الخطبة**[٣] **لقد أعرضت المسألة . أعتق النسمة ، وفك الرقبة** » . فقال : يا رسول الله ، أو ليستا بواحدة ؟ قال : « **لا ، إن عتق النسمة أن**

(٤١) سنن أبي داود في كتاب : العتق ، باب : في ثواب العتق ، حديث (٣٩٦٤) (٤/٢٩) . وسنن النسائي الكبرى ، كتاب : العتق ، باب : ذكر اسم هذا الولى ، حديث (٤٨٩١) (٣/١٧٢) .

(٤٢) المسند (٤/١٥٠) (١٧٤٠٥) .

(٤٣) المسند (٤/١٤٧) (١٧٣٧٤) .

(٤٤) المسند (٤/٢٩٩) (١٨٧٠١) .

[١] - سقط من ز . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : الخطية .

تنفرد[١] بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها . والمنحة الوكوف ، والفيء على ذي الرحم الظالم ، فإن لم تُطِق ذلك فأطعم الجائعَ ، واسق الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير » .

وقوله : ﴿ أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴾ ، قال ابن عباس : ذي مجاعة . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وغير واحد . والسغب : هو الجوع .

وقال إبراهيم النخعي : في يومٍ الطعام فيه عزيز .

وقال قتادة : في يوم يشتهى[٢] فيه الطعام .

وقوله : ﴿ يتيمًا ﴾ ، أي : أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا ، ﴿ ذا مقربة ﴾ ، أي : ذا قرابة منه . قاله ابن عباس ، وعكرمة والحسن ، والضحاك ، والسدي . كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٤٥) :

حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن حفصة بنت سيرين[٣] عن سلمان[٤] بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **الصدقة على المسكين[٥] صدقة ، وعلى ذي الرحم اثنتان ، صدقة وصلة** » .

وقد رواه الترمذي والنسائي ، وهذا إسناد صحيح .

وقوله : ﴿ أو مسكينًا ذا متربة ﴾ ، أي : فقيرًا مدقعًا لاصقًا بالتراب ، وهو الدقعاء أيضًا .

قال ابن عباس : ﴿ ذا متربة ﴾ هو المطروح في الطريق ، الذي لا بيت له ، ولا شيء يقيه من التراب - وفي رواية : هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ، ليس له شيء - وفي رواية عنه : هو البعيد التربة[٦] .

قال ابن أبي حاتم : يعني الغريب عن وطنه .

وقال عكرمة : هو الفقير المديون المحتاج .

---

(٤٥) المسند (٤/٢١٤) (١٧٩٣٩) . وأخرجه الترمذي في كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء في الصدقة على ذي القرابة ، حديث (٦٥٨) (٣/٢٠) . والنسائي (٥/٩٢) كتاب : الزكاة ، باب : الصدقة على الأقارب . كلاهما من طريق حفصة عن الرباب عن عمها سلمان بن عامر به مرفوعًا . قال الترمذي : حديث حسن .

---

[١] - في ز : تفرد .
[٢] - بياض في ز .
[٣] - في ز : شريف .
[٤] - في ز : سليمان .
[٥] - في ز : المسلمين .
[٦] - في ز : المتربة .

وقال سعيد بن جبير : هو الذي لا أحد له .

وقال ابن عباس ، وسعيد ، وقتادة ومقاتل بن حيان : هو ذو العيال . وكل هذه قريبة المعنى .

وقوله : ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا** ﴾ ، أي : ثم هو مع هذه[١] الأوصاف الجميلة الطاهرة ، مؤمن بقلبه ، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل . كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا** ﴾ وقال : ﴿**من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ...**﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** ﴾ ، أي : كان من المؤمنين العاملين صالحًا ، المتواصين بالصبر علىٰ أذىٰ الناس ، وعلىٰ الرحمة بهم . كما جاء في الحديث(٤٦) : « **الراحمون يرحمهم الرحمن**[٢] ، **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** » وفي الحديث الآخر(٤٧) : « **لا يرحم الله من لا يرحم الناس** » وقال أبو داود(٤٨) : حدثنا بن أبي شيبة ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن ابن عامر ، عن عبد الله بن عَمْرو - يرويه[٣] - قال : « **من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا ، فليس منا** » .

وقوله : ﴿ **أولئك أصحاب الميمنة** ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين .

ثم قال : ﴿ **والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة** ﴾ ، أي : أصحاب الشمال ، ﴿ **عليهم نار مؤصدة** ﴾ ، أي : مطبقة عليهم ، فلا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعطية العوفي ، والحسن ، وقتادة ، والسدي : ﴿ **مؤصدة** ﴾ ، أي : مطبقة . قال ابن عباس : مغلقة الأبواب . وقال مجاهد : أصد الباب بلغة قريش[٤] : أي أغلقه .

---

(٤٦) المسند (٢/١٦٠) (٦٤٩٤) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في الرحمة ، حديث (٤٩٤١) (٤/٢٨٥) . والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في رحمة الناس ، حديث (١٩٢٥) (٦/١٧٢) . كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص . قال الترمذي : حسن صحيح . وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٤٧) صحيح البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ ، حديث (٧٣٧٦) (١٣/٣٥٨) من حديث جرير بن عبد الله بهذا اللفظ . وأخرجه البخاري (٦٠١٣) ، ومسلم (٦٦/٢٣١٩) من حديث جرير بمعناه .

(٤٨) سنن أبي داود في كتاب : الأدب ، باب : في الرحمة ، حديث (٤٩٤٣) (٤/٢٨٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤١٣٤) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : الله .
[٣] - في ز : به وبشر .
[٤] - بياض في ز ، خ .

وسيأتي في ذلك حديث في سورة ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ .

وقال الضحاك : ﴿مؤصدة﴾ حيط لا باب له .

وقال قتادة : ﴿ مؤصدة ﴾ : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرَج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

وقال أبو عمران الجوني : إذا كان يوم القيامة أمر اللّٰه بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يَخاف الناس في الدنيا شره ، فأوثقوا في الحديد ، ثم أمر بهم إلىٰ جهنم ، ثم أوصدوها عليهم - أي : أطبقوها - قال : فلا واللّٰه لا تستقر أقدامهم علىٰ قرار أبدًا ، ولا واللّٰه لا ينظرون فيها إلىٰ أديم سماء أبدًا ، ولا واللّٰه لا تلتقي جفون أعينهم علىٰ غَمْض نوم أبدًا ولا واللّٰه لا يذوقون فيها بارد شراب أبدًا . رواه ابن أبي حاتم .

آخر تفسير سورة البلد ، وللّٰه الحمد والمنة

☆ ☆ ☆

سورة البلد

مكّيّة، وهي عشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أقسمَ سبحانه بالبلد الحرام وبما عُطِف عليه على أنّ الإنسان خُلق ممنوًّا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاقّ. واعتُرض بين القسم وجوابه بقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ إمّا لتشريفه صلّى الله عليه وسلّم بجَعْل حُلوله عليه السلام به مَناطًا لإعظامه بالإقسام به، أو التنبيهِ[1] مِن أوّل الأمر على تحقّق مضمون الجواب بذِكر بعض موادّ المكابدة على نهج براعة الاستهلال، وبيانِ أنّه عليه السلام مع جلالة قدره وعِظَم حُرمته قد استحلّوه في هذا البلد الحرام وتعرَّضوا له بما لا خيرَ فيه وهمّوا بما لم ينالوا. عن شُرحبيل: يُحرِّمون أن يقتلوا بها صيدًا ويعضِدوا بها شجرةً ويستحلّون إخراجك وقتلَك.[2]

أو لتسليته[3] عليه السلام بالوعد بفتحه، على معنى: وأنت حلّ به في المستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر، ٣٠/٣٩]، تصنع فيه ما تُريد مِن القتل والأسر.

وقد كان كذلك حيث أَحلّ له عليه السلام مكّة وفتحَها عليه وما فُتحت على أحد قبله ولا أُحِلّت له، فأحلّ عليه السلام فيها ما شاء وحرّم ما شاء،

---

١ السياق: إمّا لتشريفه... أو التنبيه...

٢ القول في التفسير البسيط للواحدي، ١٠/٢٤؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٤٢٩/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٥٦٧/٤.

٣ السياق: أو التنبيه... أو لتسليته...

قَتَل ابن خَطَلٍ[١] وهو متعلِّق بأستار الكعبة ومِقْيَس بن ضُبابة[٢] وغيرهما وحرّم دار أبي سفيانَ، ثمّ قال: «إنّ الله حرّم مكّة يومَ خلق السماوات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحلّ لأحد قبلي ولن تحلّ لأحد بعدي، ولم تحلّ لي إلّا ساعةً مِن نهار فلا يُعضَد شجرها ولا يُختلى خَلاها ولا يُنفَّر صيدها ولا تحِلّ لُقَطتُها إلّا لمُنشدٍ»، فقال العبّاس: «يا رسول الله، إلّا الإذْخِرَ فإنّه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا»، فقال عليه السلام: «إلّا الإذْخِرَ».[٣]

[٣٠٠و] / ﴿وَوَالِدٍ﴾ عطفٌ على ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ والمراد به إبراهيمُ وبقوله تعالى ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ إسماعيلُ والنبيّ صلوات الله تعالى عليهم حسبما يُنبئ عنه المعطوف عليه، فإنّه حَرَمُ إبراهيمَ ومنشأ إسماعيلَ ومسقطُ رأس رسول الله عليهم السلام. والتعبير عنهما بـ﴿مَا﴾ دون "مَن" للتفخيم والتعظيم كتنكير ﴿وَالِدٍ﴾، وإيرادهم بعنوان الوِلادِ ترشيحٌ لمضمون الجواب وإيماءٌ إلى أنّه متحقِّق في حالتَي الوالديّة والولديّة. وقيل: آدمُ عليه السلام ونسلُه.[٤] وهو أنسبُ لمضمون الجواب مِن حيث شموله للكلّ إلّا أنّ التفخيم المستفاد مِن كلمة ﴿مَا﴾ لا بدّ فيه مِن اعتبار التغليب. وقيل: كلّ والد وولده.[٥]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ أي: تعب ومشقّة، فإنّه لا يزال يقاسي فنون الشدائد مِن وقت نفخ الروح إلى حين نزعها وما وراءه، يقال: "كبَدَ الرجلُ كبدًا" إذا وجعت كبدُه، وأصله "كبَدَه" إذا أصاب كبِدَه، ثمّ اتُّسع فيه حتّى استُعمل في كلّ نصَب ومشقّة، ومنه اشتُقَّت "المكابدة"، كما قيل: كبَتَهُ بمعنى أهلَكَه، وهو تسلية لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ممّا كان يكابده مِن كفّار قريش.

---

١ هو عبد الله بن خَطَل، وقيل: هلال، وهو مِن بني تيم بن غالب بن فِهْر، أمر النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بقتله يوم الفتح، فقُتل وهو متعلّق بأستار الكعبة. انظر: الروض الأنف للسهيلي، ١٠٦/٧.

٢ في م "ضُبابة" بالضاد المعجمة، والمشهور أنّه "صُبابة" بالصاد غير المعجمة، وقد يُضبط بالمعجمة. و"مِقيَس" بالسين، وهو عند بعضهم "مِقْيَص" بالصاد. انظر لذلك: المُغرِب للمُطرّزي، «قيص».

٣ صحيح البخاري، ٩٢/٢ (١٣٤٩)؛ صحيح مسلم، ٩٨٦/٢ (١٣٥٣).

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٦٨/٤.

٥ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٦٨/٤.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾

والضمير في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبعضهم الذي كان عليه السلام يُكابد منهم ما يُكابد كالوليد بن المُغيرة وأضرابه. وقيل: هو أبو الأشدّ بن كلدة الجُمَحيُّ وكان شديدَ القوّة مغترًا بقوّته، وكان يُبسَط له الأديم العُكاظيُّ فيقوم عليه ويقول: «مَن أزالني عنه فله كذا»، فيجذبه عشرة فيتقطّع قطعًا ولا تزِلّ قدماه.[1] أي: أيظنّ هذا القويّ المارد المتضعِّف للمؤمنين ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ﴿أَن﴾ مخفّفة مِن "أنّ"، واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف، أي: أيحسب أنّه لن يقدر على الانتقام منه أحد.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ يريد كثرةَ ما أنفقه فيما كان أهل الجاهليّة يسمّونها مكارمَ ويدعونها معاليَ ومفاخرَ.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ حين كان ينفق وأنّه تعالى لا يسأله عنه ولا يُجازيه عليه.

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ يُبصِر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ يُترجِم به عن ضمائره / ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ [٣٠٠ظ]
يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقي الخير والشرّ، أو الثديين. وأصل النجد: المكان المرتفع.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي: فلم يشكر تلك النِّعَم الجليلة بالأعمال الصالحة. وعُبّر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها.

---

[1] القول في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٤٣٠.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ أي: أيُّ شيء أعلمك ما اقتحام العقبة؟ لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي: هو إعتاق رقبة ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ أي: مجاعة ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾ أي: قرابة ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ أي: افتقار، وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حَسُن دخول "لا" على الماضي، فإنّها لا تكاد تقع إلّا مكرَّرةً؛ إذ المعنى فلا فكَّ رقبةً ولا أطعَم يتيمًا أو مسكينًا.

و"المَسغَبة" و"المَقرَبة" و"المَترَبة" مفعلات مِن "سَغِب" إذا جاع، و"قَرُب" مِن النسب، و"تَرِب" إذا افتقر. وقُرئ: "فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ"[١] على الإبدال مِن ﴿ٱقۡتَحَمَ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عطفٌ على المنفيّ بـ﴿لَا﴾، و﴿ثُمَّ﴾ للدلالة على تراخي رُتبة الإيمان ورِفعة محلّه لاشتراط جميع الأعمال الصالحة به. ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ عطفٌ على ﴿ءَامَنُواْ﴾، أي: أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ بالرحمة على عباده أو بموجِبات رحمته تعالى مِن الخيرات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الموصول باعتبار اتّصافه بما في حيّز صلته، وما فيه مِن معنى البُعد مع قُرب المشار إليه للإيذان ببُعد درجتهم في الشرف والفضل، أي: أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ أي: اليمين أو اليُمن.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بما نصبناه دليلًا على الحقّ مِن كتاب وحجّة، أو بالقرآن ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ أي: الشِّمال أو الشؤم، ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ مطبقة مِن "آصدتُ الباب" إذا أطبقتَه وأغلقتَه. وقُرئ: "مُوصَدَةٌ"[٢] بغير همزة مِن "أوْصدتُه".

---

١ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي. النشر لابن الجزري، ٤٠١/٢.

٢ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي وأبو بكر وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٣٩٥/١.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أعطاه الله تعالى الأمان مِن عقبة يوم القيامة».[١]

[١] الكشف والبيان للثعلبي، ٣٧٨/٢٩ (البلد، ١/٩٠)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤٨٨/٤ (البلد، ١/٩٠)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٧٠/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٩٠

سورة البلد

مكية، عشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿لا﴾: زائدةٌ ﴿أُقسِمُ بِهذا البَلَدِ﴾ مكّةَ ـ ٢ ـ ﴿وأنتَ﴾ يا مُحمّدُ ﴿حِلٌّ﴾: حلالٌ ﴿بِهذا البَلَدِ﴾ بأن يَحِلَّ لك فتُقاتِلَ فيه. وقد أنجز الله له هذا الوعدَ يوم الفتح. فالجملة اعتراض بين المُقسَم به وما عطف عليه ـ ٣ ـ ﴿ووالِدٍ﴾ أي: آدمَ ﴿وما وَلَدَ﴾ أي: ذُرِّيّته. وما: بمعنى: مَن. ٤ ـ ﴿لَقَد خَلَقْنا الإنسانَ﴾ أي: الجِنسَ ﴿في كَبَدٍ﴾: نصَبٍ وشِدّة يُكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

٥ ـ ﴿أيَحسِبُ﴾، أي: أيظنّ الإنسانُ قويُّ قُريشٍ ....

سورة البلد

قولُهُ: (اعتِرَاضٌ) أو أقسمَ سبحانَهُ بالبلدِ الحرامِ، وقيَّدهُ بحلولِ الرَّسولِ فيه عليهِ السَّلام، إظهاراً لمزيدِ فضلِ البلدِ، وإشعاراً بأنَّ شرفَ المكانِ بشرفِ المكينِ.

قولُهُ: (أي: آدَمَ) أو إبراهيمَ.

قولُهُ: (أي: ذُرِّيتِهِ) أو محمَّدٍ، والتَّنكيرُ للتَّعظيمِ، وإيثارُ ﴿مَا﴾ على من لمعنى التَّعجُّبِ؛ أي: مولوداً عجيبَ الشَّأنِ.

قولُهُ: (نَصَبٍ) أي: تعَبٍ ومشقَّةٍ.

قولُهُ: (مَصَائِبَ الدُّنيَا) مبدأُها ظلمَةُ الرَّحمِ ومضيقُهُ، ومُنتَهاها الموتُ وما بعدَه.

قولُهُ: (الإنسَانُ) أي: البَعضُ الذي كانَ يغترُّ بقوَّتِهِ.

وهو أبو الأشدِّينِ كَلَدةُ ـ بقوّته ﴿أن﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لَن يَقدِرَ عليهِ أحَدٌ﴾ واللهُ قادر عليه، ٦ ـ ﴿يَقُولُ: أهلَكتُ﴾ على عداوة مُحمّد ﴿مالاً لُبَدًا﴾: كثيرًا بعضه على بعض؟ ٧ ـ ﴿أيَحسِبُ أن﴾ أي: أنّه ﴿لَم يَرَهُ أحَدٌ﴾ فيما أنفقه فيعلمَ قدرَه؟ واللهُ عالم بقدره وأنه ليس ممّا يُتكثّر به، ومُجازيه على فِعله السيّئ. ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ﴿ألَم نَجعَل﴾ ـ استفهامُ تقرير ـ أي: جعلنا ﴿لَهُ عَينَينِ، ولِسانًا وشَفَتَينِ، وهَدَيناهُ النَّجدَينِ﴾: بيّنا له طريقَي الخير والشرّ؟

١١ ـ ﴿فلا﴾: فهلاّ ﴿اقتَحَمَ العَقَبةَ﴾: جازَها ـ ١٢ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَك: ﴿ما العَقَبةُ﴾ التي يقتحمها؟ تعظيمٌ لشأنها، والجملة: اعتراض ـ وبَيّنَ سبب جوازها بقوله: ١٣ ـ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ من الرّقّ بأن أعتقها، ١٤ ـ ﴿أو أطعَمَ في يَومٍ ذِي مَسغَبَةٍ﴾: مجاعةٍ ١٥ ـ ﴿يَتِيمًا ذا مَقرَبَةٍ﴾: قرابة، ١٦ ـ ﴿أو مِسكِينًا ذا مَترَبَةٍ﴾ أي: لُصوقٍ بالتراب لفقره ـ وفي قِراءةٍ بدلَ الفعلين مصدرانِ مرفوعان مُضافٌ الأوّلُ لرقبة، ومُنوّنٌ الثاني..

قولُهُ: (وهوَ أبُو الأشُدِّينِ[1]) بفتحِ الهمزَةِ وضمِّ المعجمةِ وتشديدِ المهملةِ المفتوحَةِ، كان يُبسط تحتَ قدميهِ أديمٌ، ويجذبهُ عشرَة فيُقطَعُ ولا تزلُّ قَدَماهُ[2]؛ أو المرادُ بالإنسانِ: الجنسُ.

قولُهُ: (بقُوَّتِهِ) الباءُ للسَّببيَّة مُتعلّقٌ بـ﴿يظن﴾.

قولُهُ: (على عَدَاوَةِ مُحَمَّد) أو سمعةً ومفاخرةً.

قولُهُ: (طَريقتي الخَيرِ) أو الثَّديينِ.

قولُهُ: (فَهلَّا) لا يُعرفُ لا بمعنَى: (هَلا)، فالصَّوابُ: أنَّ لا نافيَةٌ، والمعنى: فلم يشكُرْ تلك النِّعمَ باقتحامِ العقبةِ وهو الدُّخولُ في أمرٍ شديدٍ، والعقبةُ: الطَّريقُ في الجبلِ، استعارَها لمَّا فسَّرَها به من الفكِّ والإطعامِ.

قولُهُ: (تَعظِيمٌ لشَأنِهَا) أي: أنّك لم تَدرِ كُنْهَ صعوبَتِها وثوابِها.

قولُهُ: (وبَيَّنَ سَبَبَ جَوازِهَا) يعني: ﴿فَكُّ﴾ بدلٌ، أو عطفُ بيانٍ لقولِهِ: ﴿اقتَحَمَ﴾.

قولُهُ: (لفَقرِهِ) يؤيّدُ القولَ بأنَّ المسكينَ أسوأ حالاً من الفقيرِ، وهو مذهَبُنا[3].

قولُهُ: (وفي قِرَاءَة) لنافعٍ وشاميٍّ وعاصمٍ وحمزةَ[4].

---

(١) هو: كلدة بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح أبو الأشدين، مات كافراً. «الإكمال في رفع الارتياب» لابن ماكولا (١/ ٦٦).

(٢) انظر: «الكشف والبيان» (٢٩/ ٣٨٧)، و«معالم التنزيل» (٥/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «المبسوط» (٣/ ٨).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٦).

فيُقدَّر قبل «العقبةُ»: «اقتحامُ». والقِراءة المذكورة بيانُه ـ ١٧ ـ ﴿ثُمَّ كانَ﴾: عطفٌ على «اقتحم» وثمّ: للترتيب الذِّكريّ، والمعنى: كان وقتَ الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وتَواصَوا﴾ أي: وصّى بعضُهم بعضًا ﴿بِالصَّبرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿وتَواصَوا بِالمَرحَمةِ﴾: بالرحمة على الخلق. ١٨ ـ ﴿أُولئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أصحابُ المَيمَنةِ﴾: اليمين، ١٩ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا هُم أصحابُ المَشْأَمةِ﴾: الشِّمال، ٢٠ ـ ﴿عليهِم نارٌ مُؤصَدةٌ﴾، بالهمز وبالواو بدلَه: مُطْبَقة.

قولُهُ: (قَبلَ «العَقَبةُ») أي: الثّانيةِ.

قولُهُ: (اقتِحَامٌ) وهذا التَّقديرُ غيرُ ضروريٍّ.

قولُهُ: (للتَّرتِيبِ الذِّكرِيِّ) بل لتباعُدِ الإيمانِ عن العِتقِ والإطعامِ في الرُّتبةِ لاستقلالِهِ واشتراطِ سائرِ الطَّاعاتِ به.

قولُهُ: (وعَنِ المَعصِيَة) وفي المصيبَةِ.

قولُهُ: (الرَّحمَةِ) فكانوا جامِعينَ بين التَّعظيمِ لأمرِ الله، والشَّفقَةِ على خَلقِ الله، والصَّالِحون القائمون بحقوقِ الله وحقوقِ العبادِ.

قولُهُ: (اليَمِينِ) أو اليُمنِ.

قولُهُ: (الشِّمَالِ) أو الشُّؤمِ، قالَ القاضِي[1]: ولتكريرِ ذكرِ المؤمنينَ باسمِ الإشارَةِ، والكفَّار بالضَّميرِ شأنٌ لا يخفَى، وهو أنَّ الإشارةَ تدلُّ على حضُورِهم وقُربِهم عند الله، وأنَّ الضَّميرَ يدلُّ على غيبتِهم وبعدِهم عن اللهِ تعالى، والله أعلم.

قولُهُ: (بالهَمزِ) أبو عَمرو وحَفصٌ، وكذا حمزةُ وقفاً[2].

قولُهُ: (بَدَلُهُ) بأنَّهما لغتانِ، أو الثَّاني بالإبدالِ، والله سبحانَهُ وتعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣١٤).

(٢) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٢٦).

سورة البلد

مكيةٌ في قول الجمهور بتمامها.

وقيل: مدنيةٌ بتمامها. وقيل: مدنيةٌ إلا أربعَ آيات من أولها. واعتُرض كلا القولين بأنه يأباهما قوله تعالى: (بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ) قيل: ولقوة الاعتراض ادَّعى الزمخشريُّ الإجماعَ على مكيتها[1]، وسيأتي إن شاء الله تعالى أنَّ في بعض الأخبار ما هو ظاهرٌ في نزول صَدْرها بمكة بعد الفتح.

وهي عشرون آيةً بلا خلاف، ولَمَّا ذمَّ سبحانه فيما قبلها مَنْ أَحَبَّ المالَ وأكلَ التراث أَكْلاً لَمًّا، ولم يحضَّ على طعام المسكين، ذَكَرَ جلَّ وعلا فيها الخصالَ التي تُطلَبُ من صاحب المال؛ من فَكِّ الرقبة، وإطعامٍ في يومٍ ذي مَسْغبة، وكذا لَمّا ذَكَرَ عزَّ وجلَّ النفسَ المطمئنَّة هناك، ذَكَرَ سبحانه هاهنا بعضَ ما يحصلُ به الاطمئنانُ فقال عزَّ قائلاً:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ أقْسَمَ سبحانه بالبلد الحرام ـ أعني: مكة، فإنه المراد بالمشار إليه بالإجماع ـ وما عطف عليه على [أنَّ][2] الإنسانَ خُلِقَ مغموراً في مكابدة المشاقِّ ومعاناة الشدائد.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥٤.

(٢) ما بين حاصرتين من تفسير أبي السعود ٩/ ١٦٠.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ على ما اختاره في «الكشاف»[١] اعتراضٌ بين القَسَم وجوابه، وفيه تحقيقُ مضمونه بذِكْرِ بعض المكابدة على نهج براعة الاستهلال، وإدماجٌ لسوء صنيع المشركين ليُصرِّح بذمِّهم، على أنَّ الحِلَّ بمعنى المستَحَلّ ـ بزنة المفعول ـ الذي لا يُحترَم، فكأنه قيل: ومن المكابدة أنَّ مثلَكَ على عِظَمِ حُرْمته يُستَحلُّ بهذا البلد الحرام ولا يُحترَم، كما يُستَحَلُّ الصيدُ في غير الحرم. عن شُرَحبيل بن سعد: يُحرِّمون أن يقتلوا به صيداً، ويَعضِدوا شجرةً، ويستحلُّون إخراجَكَ وقتلَكَ.

وفي تأكيد كون الإنسان في كَبَدٍ بالقَسَم تثبيتٌ لرسول الله ﷺ، وبَعْثٌ على أنْ يُطَامِنَ نفسَه الكريمة على احتماله، فإنَّ ذلك قَدَرٌ محتومٌ.

وجُوِّزَ أن يكون الحِلُّ بمعنى الحلال ضدّ الحرام، قال ابن عباس فيما أخرجه عنه ابن جرير وغيره: وأنت يا محمدُ يَحِلُّ لك أنْ تقاتلَ به، وأما غيرك فلا[٢].

وقال مجاهد: أَحلَّه الله تعالى له عليه الصلاة والسلام ساعةً من نهار، وقال سبحانه له: ما صنعتَ فيه من شيءٍ فأنت في حِلٍّ لا تؤاخذ به.

وروي نحوُ ذلك عن أبي صالح، وقتادة، وعطية، وابن زيد، والحسن، والضحاك ولفظه: يقولُ سبحانه: أنت حِلٌّ بالحرم، فاقتلْ إن شئتَ أو دَعْ.

وذلك يوم الفتح، وقد قَتَلَ ﷺ يومئذ عبد الله بن خَطَل، وهو الذي كانت قريشٌ تُسمِّيه ذا القلبين، قدَّمه أبو برزة سعيد بن حرب الأسلمي، فضَرب بأمره ﷺ عنقَه. وهو متعلِّقٌ بأستار الكعبة، وكان قد أظهر الإسلام، وكتب لرسول الله ﷺ شيئاً من الوحي، فارتدَّ وشَنَّع على رسول الله ﷺ بأنَّ ما يُمليه من القرآن منه عليه الصلاة والسلام، لا من الله تعالى.

وقتل غيره أيضاً كما هو مذكورٌ في كتب السير.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله تعالى حرَّمَ مكة يوم خَلَقَ السماوات

---

(١) ٤/ ٢٥٥.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٠٣.

والأرض، فهي حرامٌ إلى أن تقومَ الساعة، لا تَحِلُّ لأحدٍ قبلي، ولن تَحِلَّ لأحدٍ بعدي، ولم تَحِلَّ لي إلا ساعةً من نهار، فلا يُعضَدُ شجرها، ولا يُختَلى خلاها، ولا يُنفَّر صيدُها، ولا تَحِلُّ لُقَطتُها إلا لمنشدٍ» فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخِرَ، فإنه لِقُيوننا وقبورنا وبيوتنا. فقال عليه الصلاة والسلام: «إلا الإذخِرَ»[1].

وتقديم المسند إليه على هذا للاختصاص كما أُشير إليه في خبر ابن عباس. و«حِلٌّ» على معنى الاستقبال بناءً على أنَّ نزولَ السورة قبل الهجرة التي هي قبل الفتح بكثيرٍ، وفي خبرٍ رواه عبد بن حميد[2] عن ابن جبير ما هو ظاهرٌ في أنَّ الآيَةَ نزلت بعد أن ضَرَبَ أبو برزةَ عُنُقَ ابن خَطَل يوم الفتح، فإن صحَّ لا يكون في معنى الاستقبال، لكنَّ الجمهورَ على الأول.

وفي تعظيم المُقْسَم به وتوكيد المُقْسَم عليه بالإقسام توكيدٌ لما سيق له الكلام، وهو ـ على ما ذُكر ـ أنَّ عاقبةَ الاحتمال والمكابدة إلى الفتح والظَّفَر، والغرضُ تسليته ﷺ، ثم ترشيحُها بالتصريح بما سيكون من الغَلَبة، وتعظيمُ البلد يدلُّ على تعظيم مَنْ أُحِلَّ له، وفي الإقسام به توطئةٌ للتسلية؛ لأنَّ تعظيمَ البلد تعظيمٌ للساكن فيه.

وجُوِّز أن يكون الحِلُّ على نحو ما ذُكِرَ في هذا الوجه، لكنَّ المعنى: وأنت حِلٌّ بهذا البلد مما يقترفه أهله من المآثم، مُتَحَرِّجٌ بريءٌ منها، والمعنى في الإقسام بالبلد تعظيمُهُ، وفي الاعتراض ترشيحُ التعظيم والتشريف بكون مثله ﷺ في جلالة القَدْر ومنصب النبوَّة ساكناً فيه مبايناً لِمَا عليه الغاغةُ والهمج، والفائدة فيه تأكيدُ المُقْسَم عليه بأنهم من أهل الطبع، فلا ينفعهم شَرَفُ مكان والمتمكّن فيه، كأنه قيل: أقسم بهذا البلد الطيب بنفسه وبِمَنْ سَكَنَ فيه إنَّ أهله لفي مرضِ قلبٍ وشَكٍّ لا يُقادَرُ قَدْرُهُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٣)، والبخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٣). والقُيون: جمع قَيْن، وهو الحداد والصائغ. النهاية ٤/ ١٣٥.

(٢) كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥١.

وقيل: الحِلُّ صفةٌ أو مصدرٌ بمعنى الحالّ، يقال: حَلَّ ـ أي: نَزَلَ ـ يَحِلُّ حِلًّا وحُلولاً، ويقال أيضاً: هو حِلٌّ بموضع كذا، كما يقال: حالٌّ به، والقولُ بأنَّ الصفةَ من الحلول حالٌّ لا حِلٌّ، ومصدر حَلَّ ـ بمعنى نزلَ ـ الحُلولُ والحَلُّ بفتح الحاء والحَلَلُ فقط = ناشئٌ من قِلَّة التتبُّع. والاعتراض لتشريفه ﷺ بجَعْل حُلوله عليه الصلاة والسلام مناطاً لإعظام البلد بالإقسام به.

وجَعَلَ بعضُ الأجِلَّة الجملةَ على هذا الوجه حالاً من «هذا البلد»، وكذا جَعَلَها بعضُهم حاليةً على الوجهين قبل، إلا أنَّ الحالَ على ثانيهما مقارِنةٌ، وعلى أولهما مقدَّرةٌ، أو مقارِنةٌ إن قيل: إنَّ النزولَ ساعةَ أُحِلَّتْ مكةُ، وجعلها ابنُ عطيةَ حالاً على الوجه الأول أيضاً، أعني: كونَ الحِلِّ بمعنى المستحلِّ، لكن قيَّده بكون «لا» نافيةً غير زائدة[1]، فتأمل.

وأيًّاما كان ففي الإشارة وإقامة الظاهر مقامَ الضمير من تعظيم البلد ما فيهما.

﴿وَوَالِدٍ﴾ عَطْفٌ على «هذا البلد» المُقْسَم به، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ والمراد بالأول آدمُ عليه السلام، وبالثاني جميعُ ولده على ما أخرج الحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس[2]، ورواهُ جماعةٌ أيضاً عن مجاهد وقتادة وابن جبير[3].

وقيل: المراد آدم عليه السلام والصالحونَ من ذريته.

وقيل: نوحٌ عليه السلام وذُرِّيَّته.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عمران أنهما إبراهيم عليه السلام وجميعُ ولده[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣.
(٢) المستدرك ٢/ ٥٢٣.
(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٠٧ عن مجاهد وقتادة.
(٤) تفسير ابن جرير ٢٤/ ٤٠٨، والدر المنثور ٦/ ٣٥٢.

وقيل: إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل عليه السلام والنبيُّ ﷺ. وادُّعي[1] أنه يُنبئُ عن ذلك المعطوفُ عليه، فإنه حَرَمُ إبراهيمَ ومنشأُ إسماعيل ومسقطُ رأس رسول الله صلى الله عليهم أجمعين.

وقال الطبريُّ والماوردي[2]: يحتملُ أن يكونَ «الوالد» النبيّ ﷺ؛ لتَقدُّم ذِكْره، و«ما ولد» أمَّتهُ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد»[3]، ولقراءة عبد الله: «وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم»[4]، وفي القَسَم بذلك مبالغةٌ في شَرَفه عليه الصلاة والسلام. وهو كما ترى.

وقيل: المراد كلُّ والدٍ وولده من العقلاء وغيرهم، ونُسِبَ ذلك لابن عباس.

وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عنه أنه قال: الوالد: الذي يلدُ، وما ولد: العاقرُ الذي لا يَلِدُ من الرجال والنساء[5]. ونُسِبَ إلى ابن جبير أيضاً. فـ «ما» عليه نافيةٌ، فيحتاجُ إلى تقدير موصولٍ يصحُّ به المعنى الذي أُريد، كأنه قيل: ووالدٍ والذي ما ولد. وإضمارُ الموصول في مثله لا يجوز عند البصريين، ومع هذا هو خلاف الظاهر، ولعلَّ ظاهرَ اللفظ عدمُ التعيين في المعطوفين، وظاهرُ العَطْفِ على «هذا البلد» إرادةُ مَنْ له دخلٌ فيه وشهرة بنسبة البلد إليه، والمشهور في ذلك إبراهيمُ وإسماعيل عليهما السلام.

وتنكيرُ «والد» على ما اختاره غيرُ واحدٍ للتعظيم، وإيثارُ «ما» على «مَنْ» بناءً على أنَّ المراد بـ «ما» ولد العاقل؛ لإرادة الوصف، فتفيدُ التعظيمَ في مقام المدح، وأنه مما لا يُكْتَنَهُ كُنْهه لشِدَّة إبهامها، ولذا أفادت التعجُّب أو التعجيب ـ وإن لم

---

(١) في (م): ادعى، دون واو.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ٢٧٥، وذكره عن الطبري أبو حيان في البحر ٨/ ٤٧٥، وعنه نقل المصنف، ولم نقف عليه في تفسير الطبري، وقد اختار الطبري أن الكلام عام في كل والد وكل مولود. تفسير الطبري ٢٤/ ٤٠٨.

(٣) أخرجه أبو داود (٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) القراءات الشاذة ص١١٩.

(٥) الدر المنثور ٦/ ٣٥٢، وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٠٦.

تكن استفهاميةً ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي: أيّ مولودٍ عظيمِ الشأن وضعتهُ، والتعظيمُ والتعجيبُ على تقدير أن يُراد بـ «ما ولد» ذريةُ آدم عليه السلام مثلاً، قيل: باعتبار التغليب. وقيل: باعتبار الكثرة وما خُصَّ به الإنسانُ من خواصِّ البشر كالعقل وحُسْن الصورة، ومَنْ تأمَّلَ في شؤون الإنسان من حيث هو إنسانٌ، يعلم أنه من تلك الحيثية مُعَظَّمٌ يُتَعجَّبُ منه.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ أي: في تَعَبٍ ومشقَّةٍ، فإنه لا يزال يُقاسي فنونَ الشدائد من وقت نَفْخِ الروح إلى حين نَزْعها وما وراءه، يقال: كَبِدَ الرجلُ كَبَداً فهو أكبدُ، إذا وَجِعَتْهُ كَبِدُهُ وانتفختْ، فاتُّسِعَ فيه حتى استُعمِلَ في كلِّ تَعَبٍ ومشقَّةٍ، ومنه اشتُقَّتِ المكابدةُ؛ لمقاساة الشدائد، كما قيل: كَبَتَهُ بمعنى: أَهْلَكَهُ، وأصلُهُ: كَبَدَهُ، إذا أصاب كَبِدَهُ، قال لبيد يرثي أخاه:

يا عينُ هلا بكيتِ أَرْبَدَ إذ ... قُمنا وقام الخصومُ في كَبدِ[1]

أي: في شِدَّة الأمر وصعوبة الخَطْب.

وعن ابن عمر: يُكابد الشكرَ على السَّرَّاء، ويُكابد الصَّبرَ على الضَّرَّاء.

وعن ابن عباس وعبد الله بن شدَّاد وأبي صالح والضحاك ومجاهد أنهم قالوا: أي: خلقناه مُنتصِبَ القامة واقفاً، ولم نجعله مُنكبًّا على وجهه.

وقال ابن كيسان: أي: منتصباً رأسُهُ في بطن أمِّه، فإذا أُذِنَ له في الخروج قَلَبَ رأسَهُ إلى قَدَمَي أمِّه.

وهذه الأقوال كلُّها ضعيفةٌ لا يُعوَّلُ عليها بخلاف الأول، وقد رواه الحاكم وصححه وجماعةٌ عن ابن عباس[2]، وروي عن غير واحدٍ من السلف.

نعم جُوِّزَ أن يكون المعنى: لقد خلقناه[3] في مرضٍ شاقٍّ، وهو مرضُ القلب وفساد الباطن، وهذا بناءً على الوجه الثالث من الأوجه الأربعة السابقة في قوله

(١) ديوان لبيد ص١٦٠، وينظر قصة موت أربد فيما سلف ١٣/ ٧٢-٧٣.
(٢) المستدرك ٢/ ٥٢٣، والدر المنثور ٦/ ٣٥٢.
(٣) في (م): خلفناه.

تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۞ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ والمراد بالإنسان عليه: الذين عَلِمَ الله تعالى منهم حين خَلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات. والظاهر أنَّ المرادَ على ما عداه جنسُ الإنسان مطلقاً. وقال ابن زيد: المراد بالإنسان آدمُ عليه السلام، وبالكَبَد السماء، وشاعَ في وَسَطِ السماء[١] كالكُبَيداء والكُبيداةِ والكَبْداء والكَبْد، بفتحٍ فسكون. وليس بشيءٍ أصلاً. والضميرُ في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ على ما عدا ذلك راجعٌ إلى ما دلَّ عليه السياق ممن يكابد منه ﷺ ما يُكابد من كفار قريش، وينتهك حرمة البيت وحُرْمته عليه الصلاة والسلام، وعليه[٢]: للإنسان، والتهديدُ مصروفٌ لمن يستحقّه.

وقيل على إرادة البعض: هو أبو الأشد[٣] أسيد بن كَلْدة الجمحي، وكان شديدَ القوة مغترًّا بقوّته، وكان يُبسَطُ له الأديم العُكاظيُّ فيقوم عليه ويقول: مَنْ أزالني عنه فله كذا، فيجذبهُ عشرةٌ، فينقطعُ قِطعاً ويبقى موضع قدميه.

وقيل: عمرو بن عبد وُدٍّ. وقيل: الوليد بن المغيرة. وقيل: أبو جهل بن هشام. وقيل: الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف. ويجوز أن يكون كلٌّ من هؤلاء سبب النزول فلا تغفل.

وجعل عصام الدين الاستفهامَ للتعجيب، على معنى: أيظنُّ ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الانتقام منه ومكافأته بما هو عليه ﴿أَحَدٌ﴾ مع أنه لا يتخلَّص من المكابدة ومقاساة الشدائد. و«أن» مخفَّفةٌ من الثقيلة، ولعلَّ في ذلك إدماجَ عدم الإيمان بالقيامة.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ أي: كثيراً، من تلبَّدَ الشيءُ: إذا اجتمع، أي: يقول ذلك وقتَ الاغترار فخراً ومباهاة وتعظُّماً على المؤمنين، وأراد بذلك ما أنفقه رياءً وسُمعةً، وعبّر عن الإنفاق بالإهلاك إظهاراً لعدم الاكتراث، وأنه لم يفعلْ ذلك رجاءَ نَفْعٍ، فكأنه جعل المالَ الكثيرَ ضائعاً.

---

(١) أي: شاع في معنى الكَبَد أنه: وسطُ السماء. ينظر القاموس (كبد).
(٢) أي: على القول المذكور.
(٣) بالشين المعجمة، وضبطه بعضهم بالمهملة، ويقال أيضاً: أبو الأشدين. ينظر حاشية الشهاب ٨/ ٣٦٢.

وقيل: يقول ذلك إظهاراً لشِدَّة عداوته لرسول الله ﷺ، مريداً بالمال ما أنفقه في معاداته عليه الصلاة والسلام.

وقيل: يقول ذلك إيذاءً له عليه الصلاة والسلام، فعن مقاتل أنَّ الحارث بن نوفل كان إذا أذنبَ استفتى الرسول ﷺ، فيأمرُهُ عليه الصلاة والسلام بالكفارة، فقال: لقد أهلكتُ مالاً لُبَداً في الكفارات والتَّبِعات منذ أطعتُ محمداً ﷺ.

وقيل: المراد ما تقدَّم أولاً، إلا أنَّ هذا القول وقت الانتقام منه، وذلك يوم القيامة، والتعبيرُ عن الإنفاق بالإهلاك لما أنه لم ينفعه يومئذٍ.

وقرأ أبو جعفر: «لُبَّداً» بشَدِّ الباء[1]، وعنه وعن زيد بن علي: «لُبْداً» بسكون الباء[2]. وقرأ مجاهد وابن أبي الزناد: «لُبُداً» بضمِّ اللام والباء[3].

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ أي: حين كان يُنفقُ ما ينفقُ رئاءَ الناس، أو حِرْصاً على معاداته ﷺ، يعني: أنَّ الله تعالى كان يراهُ، وكان سبحانه عليه رقيباً، فهو عزَّ وجلَّ يسأله عنه ويجازيه عليه، وفي الحديث: «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يُسألَ عن أربع: عن عمره فِيمَ أفناه، وعن ماله مِمَّ جمعه وفِيمَ أنفقه، وعن عِلْمه ماذا عمل به»[4].

وجُوِّزَ أن يكون المعنى: أن لم يجده أحد، على أنَّ المرادَ بالرؤية الوجدان اللازم له، و«لم» بمعنى «لن» وعبّر بها لتحقُّق الوقوع، يعني: أنه تعالى يجدهُ يوم القيامة فيحاسبه على ذلك.

وعن الكلبي أنَّ هذا القائل كان كاذباً لم ينفقْ شيئاً، فقال تعالى: أَيظنُّ أنَّ الله تعالى ما رأى ذلك منه، فَعَلَ أو لم يفعل، أنفقَ أو لم ينفق، بل رآه عزَّ وجلَّ وعَلِمَ منه خلافَ ما قال، وقرَّرَ سبحانه القدرةَ على مجازاته ومحاسبته والاطلاع على

---

(١) النشر ٢/ ٤٠١.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٧٦.
(٣) القراءات الشاذة ص١٧٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤.
(٤) أخرجه بنحوه الترمذي (٢٤١٦) من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ، وقال: حسن صحيح.

حاله بقوله جلَّ وعلا: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨﴾ يُبصِرُ بهما ﴿وَلِسَانًا﴾ يُفصِحُ به عمّا في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يسترُ بهما فاهُ، ويستعينُ بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك. والمفرد شَفَةٌ، وأصلها شَفَهةٌ، حُذفت منها الهاء، ويدلُّ عليه شُفَيهةٌ وشِفاهٌ وشافهتُ، وهي مما لا يجوزُ جمعُهُ بالألف والتاء وإن كان فيه تاء التأنيث على ما في «البحر»[1].

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ أي: طريقَي الخير والشر كما أخرجه الحاكم وصححه، والطبراني وغيرهما عن ابن مسعود[2]. وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس[3]، وروي عن عكرمة والضحاك وآخرين، وأخرجه الطبرانيُّ[4] عن أبي أمامة مرفوعاً.

والنَّجْدُ مشهورٌ في الطريق المرتفع، قال امرؤ القيس:

فريقان منهم جازعٌ بَطْنَ نخلةٍ وآخرُ منهم قاطعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ[5]

وسُمِّيتْ نجدٌ به لارتفاعها عن انخفاض تهامة، والامتنانُ على[6] المحدَّث عنه بأنْ هداه سبحانه وبيَّن له تعالى شأنه ما إن سَلَكه نجا، وما إن سلكه هلك، ولا يتوقَّفُ الامتنانُ على سلوك طريق الخير، وقد جعل الإمام[7] هذه الآية كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] وَوَصْفُ سبيل الخير بالرفعة والنجدية ظاهرٌ، بخلاف سبيل الشر، فإنَّ فيه هبوطاً من ذروة الفطرة إلى

---

(١) ٨/ ٤٧٣.
(٢) المستدرك ٢/ ٥٢٣، والمعجم الكبير (٩٠٩٧).
(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٤١٦.
(٤) كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٣.
(٥) ديوان امرئ القيس ص٤٣. قوله: جازع بطن نخلة، يعني بستان ابن معمر، وهو مجتمع لواديين: نخلة الشامية ونخلة اليمانية، وكبكب: اسم جبل. يعني افترق الحيان بعد انقضاء المُرْتَبَع الذي كان يجمعهم، ورجع كل حيٍّ إلى مائه وموضع إقامته، فكانوا فرقتين، فمنهم آخذٌ سُفلاً، ومنهم آخذٌ علوًا. ينظر شرح الديوان، ومعجم البلدان ١/ ٤١٤ و٥/ ٢٧٧.
(٦) قوله: على، ليس في (م).
(٧) هو الرازي. ينظر تفسيره ٣١/ ١٨٤.

حضيض الشقاوة، فهو على التغليب، أو على توهُّم المتخيلة له صعوداً، ولذا استعمل الترقِّي في الوصول إلى كلِّ شيءٍ وتكميله. كذا قيل.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرقٍ عن ابن عباس أنهما الثديان[١]. وروي ذلك عن ابن المسيب، أي: ثديي الأمِّ؛ لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه، والارتفاعُ فيهما ظاهرٌ، والبطنُ تحتهما كالغَوْر، والعربُ تُقسِمُ بثديي الأمِّ فتقول: أَمَا ونجديها ما فعلتُ. ونُسِبَ هذا التفسيرُ لعليٍّ كرم الله تعالى وجهه أيضاً، والمذكور في «الدر المنثور» من رواية الفريابي وعبد بن حميد، وكذا في «مجمع البيان» أنه كرَّمَ الله تعالى وجهه [قيل له:] إن أناساً يقولون: إنَّ النجدين الثديان، فقال: لا، هما الخيرُ والشرُّ[٢]. ولعلَّ القائلَ بذلك رأى أنَّ اللفظ يحتمله مع ظهور الامتنان[٣] عليه جدًّا.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ الاقتحام: الدخول بسرعةٍ وضغطٍ وشِدَّةٍ، ويقال: قَحَم في الأمر قُحُوماً: رمى نفسه فيه من غير رويَّةٍ. والعقبةُ: الطريقُ الوَعرُ في الجبل. وفي «البحر»: هي ما صعبَ منه وكان صُعُوداً[٤]. والجمع عَقَبٌ وعِقابٌ، وهي هنا استعارةٌ لما فُسِّرتْ به من الأعمال الشاقة المرتفعة القَدْرِ عند الله تعالى، والقرينةُ ظاهرةٌ، وإثبات الاقتحام المرادِ به الفعلُ والكسبُ ترشيحٌ، ويجوز أن يكون قد جُعل فِعْلُ ما ذُكِرَ اقتحاماً وصعوداً شاقًّا، وذِكْرُهُ بعد النجدين جَعَلَ الاستعارةَ في الذروة العليا من البلاغة، والمراد ذَمُّ المحدَّث عنه بأنه مُقصِّرٌ مع ما أنعم الله تعالى به عليه من النِّعَم العِظام، والأيادي الجليلة الجِسام، كأنه قيل: فَقَصَّرَ ولم يشكرْ تلك النِّعم العظيمة، والأيادي الجسيمة، بفِعْلِ الأعمال الصالحة، بل غَمَطَ النعمة وكَفَرَ بالمنعم، واتَّبع هوى نفسه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ أي: أيُّ شيءٍ أعلمك ما هي، تعظيمٌ

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٤١٩، والدر المنثور ٦/ ٣٥٤.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٥٣، ومجمع البيان ٣٠/ ١٤٤، وما بين حاصرتين منهما.
(٣) في الأصل: أمر الامتنان.
(٤) البحر ٨/ ٤٧٦.

لشأن العقبة المفسَّرة بقوله سبحانه: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ إلخ وتفسيرُها بذلك بناءً على الادِّعاء والمجاز، وهو مما لا شُبهة في صحته، وإن لم يتَّحدِ العقبةُ والفَكُّ حقيقةً، فلا حاجة إلى تقدير مضافٍ كما زعمه الإمام[1] ليصحَّ التفسيرُ، أي: وما أدراك ما اقتحام العقبة، فَكٌّ.. إلخ.

وقال بعضهم: يحتمل أن يُرادَ بالعقبة نفسُ الشكر، عبَّر بها عنه لصعوبته، ولا يأباهُ: «وما أدراك» إلخ، لأنه بمنزلة: ما أدراك ما الشكر، فكُّ رقبةٍ. وهو كما ترى.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن أبي شيبة عن ابن عمر أنَّ العقبة جبلٌ زلالٌ في جهنم[2]. وأخرج ابن جرير عن الحسن نحوه[3].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها النار[4]. وفي رواية عبد بن حميد عنه[5] أنها عقبةٌ بين الجنة والنار. وعن مجاهد والضحاك والكلبي أنها الصراطُ، وقد جاء في صفته ما جاء، ولعلَّ المراد: بعَقَبةٍ بين الجنة والنار.

هذا، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي رجاء أنه قال: بلغني أنَّ العقبةَ التي ذَكَرَ الله تعالى في القرآن مَطْلَعُها سبعةُ آلافِ سنة، ومَهْبِطُها سبعةُ آلاف سنة[6].

وهذه الأقوال إن صحَّت يتعيَّنُ عليها أن يُراد بالاقتحام المرورُ والجوازُ بسرعة، وأن يُقدَّرَ المضافُ، أي: وما أدراك ما اقتحامُ العقبة، فَكٌّ.. إلخ، وجَعْلُ الفَكِّ وما عُطِفَ عليه نفسَ الاقتحام على سبيل المبالغة في سببيَّته له، حتى كأنه نفسه، ومآلُ المعنى: فلا فَعَلَ ما ينجو به ويجوزُ بسببه العَقَبةَ الكؤود يوم

(١) في تفسيره ٣١/ ١٨٦.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٢٠، ومصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٣٢٦، والدر المنثور ٦/ ٣٥٤.
(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٢٠.
(٤) الدر المنثور ٦/ ٣٥٤.
(٥) كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٤.
(٦) الدر المنثور ٦/ ٣٥٤، ولم نقف عليه في مطبوع تفسير الطبري.

القيامة، وبهذا يندفعُ ما نقلهُ الإمامُ عن الواحديِّ بعد نقله تفسيرها بجبلٍ زلالٍ في جهنم، وبالصراط ونحو ذلك، وهو قوله: وفي هذا التفسير نظرٌ؛ لأنَّ من المعلوم أنَّ هذا الإنسانَ وغيرَهُ لم يقتحموا عقبةَ جهنَّم ولا جاوزوها، فَحمْلُ الآية عليه يكونُ إيضاحاً للواضحات، ثم قال: ويدلُّ عليه أنه لما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ فسَّرها جلَّ شأنه بفَكِّ الرقبة والإطعام[1]. انتهى. نعم أنا لا أقول بشيءٍ من ذلك حتى تصحَّ فيه ـ تفسيراً للآية ـ روايةٌ مرفوعةٌ.

والفَكُّ تخليصُ شيءٍ من شيءٍ، قال الشاعر:

فيا رُبَّ مكروبٍ كَرَرْتُ وراءَهُ وعانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ منه ففدَّاني[2]

وهو مصدرُ فكَّ، وكذا الفَكاك بفتح الفاء كما نصَّ عليه الفراء، والمشهور أنَّ المراد به هنا تخليصُ رقبةِ الرقيق من وَصْفِ الرِّقيَّة بالإعتاق، وأخرج أحمد وابن حبان وابن مردويه والبيهقي عن البراء رضي الله عنه[3] أنَّ أعرابيًّا قال: يا رسول الله، علِّمني عملاً يدخلني الجنة؟ قال: «أعتقْ النَّسمة، وفُكَّ الرقبة» قال: أَوَليسا بواحدٍ؟ قال: «لا، إنَّ عِتْقَ النَّسمة أن تنفردَ بعتقها، وفَكُّ الرقبة أن تُعيْنَ في عتقها» الحديث. وعليه يكون نفيُ العتق عن المحدَّث عنه متحقِّقاً من بابِ أَوْلى، ومن الفَكِّ بهذا المعنى إعطاءُ المكاتَبِ ما يصرفُهُ في جهة فَكاك نفسه، وجاء في فَضْلِ الإعتاق أخبارٌ كثيرةٌ، منها ما أخرجه أحمد والشيخان والترمذيُّ وغيرهم عن أبي هريرة[4] قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعتقَ رقبةً مؤمنةً، أعتقَ الله بكلِّ عضو منها عضواً منه من النار، حتى الفرجُ بالفرج» وهو أفضلُ من الصدقة عند أبي حنيفة رضي الله عنه، وعند صاحبيه الصدقةُ أفضلُ، والآيةُ ـ على ما قيل ـ أَدلُّ على قول الإمام؛ لمكان تقديم الفَكِّ على الإطعام، وعن الشعبي تفضيلُ العتق أيضاً على الصدقة على ذي القرابة فضلاً عن غيره، وقال الإمام: في الآية وجهٌ آخرُ حَسَنٌ، وهو أن يكون

---

(١) تفسير الرازي ٣١/ ١٨٥.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٩٠.

(٣) أحمد (١٨٦٤٧)، وابن حبان (٣٧٤)، والبيهقي ١٠/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) أحمد (٩٤٤١)، والبخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩)، والترمذي (١٥٤١).

المرادُ أن يفكَّ المرءُ رقبةَ نفسهِ بما يُكلِّفهُ من العبادة التي يصيرُ بها إلى الجنة، فهي الحريةُ الكبرى[١]. وعليه قيل: يكون ما بعدُ من قبيل التخصيص بعد التعميم، وفيه بُعدٌ كما لا يخفى.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ مصدرٌ ميميٌّ بمعنى السَّغَب، قال أبو حيان: وهو الجوعُ العامُّ، وقد يقال: سَغِبَ الرجلُ إذا جاع[٢]. وقال الراغب: هو الجوعُ مع التعب، وربما قيل في العطش مع التعب[٣]. وفسَّرهُ ابن عباس هنا بالجوع من غير قيد، وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن إبراهيم أنه قال: في يوم فيه الطعام عزيزٌ[٤]. وليس بتفسيرٍ بالمعنى الموضوع له.

وَوَصْفُ اليوم بذي مسغبةٍ نحو ما يقول النحويُّون في قولهم: هَمٌّ ناصبٌ: ذو نَصَبٍ، وليلٌ نائمٌ: ذو نومٍ، ونهارٌ صائمٌ: ذو صومٍ.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ أي: قرابة، فهو مصدرٌ ميميٌّ أيضاً من قَرُبَ في النَّسَب، يقال: فلانٌ ذو قرابتي وذو مقربتي بمعنًى، قال الزجاج: وفلانٌ قرابتي قبيحٌ؛ لأنَّ القرابةَ مصدرٌ قال:

يبكي الغريبُ عليه ليس يَعرِفُه وذو قرابته في الحيِّ مسرورُ[٥]

وفيه بحثٌ.

وفي إطعام هذا جمعٌ بين الصدقة والصِّلة، وفيهما من الأجر ما فيهما، وقيل: إنه لا يخصُّ القريبَ نسباً، بل يشمل مَنْ له قُرْبٌ بالجوار.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ أي: افتقارٍ، وهو مصدرٌ ميميٌّ ـ كما تقدم ـ من تَرِبَ

---

(١) تفسير الرازي ٣١/ ١٨٦.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٧٣.
(٣) المفردات (سغب).
(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٣٥، وينظر الدر المنثور ٦/ ٣٥٥ وإبراهيم هو النخعي.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٢٩-٣٣٠، والبيت اختلف في نسبته، وسلف عند تفسير الآية (٥٦) من سورة الأعراف.

إذا افتقر، ومعناه: التصقَ بالتراب، وأما أَتْرَبَ فاستغنى، أي: صار ذا مالٍ كالتراب[١] في الكثرة، كما قيل: أثرى.

وعن ابن عباس أنه فسَّره هنا بالذي لا يقيه من التراب شيءٌ.

وفي روايةٍ أخرى: هو المطروحُ على ظهر الطريق، قاعداً على التراب لا بيت له. وهو قريبٌ مما أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعاً[٢]: هو الذي مأواه المزابل. فإن صحَّ لا يُعدَلُ عنه.

وفي روايةٍ أخرى عن ابن عباس: هو الذي يخرجُ من بيته، ثم يقلبُ وجهه إليه مستيقناً أنه ليس فيه إلا التراب.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أنه قال في ذلك: يعني بعيدَ التُّربة، أي: بعيداً من وطنه[٣]. وهو بعيدٌ.

والصفةُ على بعض هذه التفاسير صفةٌ كاشفةٌ، وبعضٍ آخرَ مخصِّصة. و«أو» على ما في «البحر»[٤] للتنويع.

وقد استشكل عدمُ تكرار «لا» هنا مع أنها دخلت على الماضي، وهم قالوا: يلزمُ تكرارها حينئذٍ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] وقول الحطيئة[٥]:

وإن كانت النَّعماءُ فيهم جَزَوا بها وإن أَنعموا لا كدَّروها ولا كَدُّوا

وشذَّ قوله:

لاهُمَّ إنَّ الحارث بن جَبَلَهْ

جنى على أبيه ثم قَتَلَهْ

(١) في (م): كالتراث. والمثبت من الأصل والكشاف ٤/ ٢٥٧ والكلام منه.
(٢) كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٥.
(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٥٥.
(٤) ٨/ ٤٧٦.
(٥) ديوانه ص١٤٠.

وكــان فــي جــاراتــه لا عــهــد لــه
فــأيّ أمــرٍ ســيِّــئٍ لا فَــعَــلَــهْ[(١)]

وأجيب بأنَّ اللازمَ تكرارُها لفظاً أو معنًى، وهي هنا مكرَّرةٌ معنًى؛ لأنَّ تفسيرَ العَقَبة بما فُسِّرَتْ به من الأمور المتعدِّدة يلزمُ منه تفسيرُ الاقتحام، فيكون «فلا اقتحم العقبة» في معنى: فلا فكَّ رقبةً ولا أطعم يتيماً.. إلخ، وقد يقال في البيت نحوُ ذلك، بأن يقال: إنَّ العمومَ فيه قائمٌ مقامَ التكرار.

ويلزمه على ما قيل جوازُ: لا جاءني زيدٌ وعمرو؛ لأنه في معنى: لا جاءني زيدٌ ولا جاءني عمرو. ومَنَعَهُ بعضُهم.

وقال الزجاج والفراء[(٢)]: يجوز أن يكون منه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فإنه عَطْفٌ على المنفيِّ، أعني «اقتحم»، فكأنه قيل: فلا اقتحمَ ولا آمنَ، ولا يلزمُ منه كونُ الإيمان غيرَ داخلٍ في مفهوم العقبة؛ لأنه يكفي في صِحَّة العَطْفِ والتكرار كونُه جزءاً أشرفَ خُصَّ بالذكر عَطْفاً، فجاءتْ صورةُ التكرار ضرورة؛ إذ الحملُ على غير ذلك مُفْسِدٌ للمعنى.

ويلزمه جوازُ: لا أَكَلَ زيدٌ وشَرِبَ، على العَطْفِ على المنفيِّ، والبعضُ المتقدِّمُ يمنعه.

وقيل: إنَّ «لا» للدعاء، والكلامُ دعاءٌ على ذلك الكافر أن لا يرزقه الله تعالى ذلك الخير.

وقيل: «لا» مخفَّفُ «ألا» للتحضيض كـ «هلّا»، فكأنه قيل: فهلّا اقتحمَ، أو الاستفهامُ محذوفٌ والتقدير: أفلا اقتحم، ونقل ذلك عن ابن زيد والجُبَّائي وأبي مسلم. وفيه أنه لم يُعرَفْ تخفيفُ «ألا» التحضيضية، وأنه كما قال المرتضى: يَقْبُحُ حَذْفُ حرفِ الاستفهام في مثل هذا الموضع، وقد عِيبَ على عمر بن أبي ربيعة قوله:

---

(١) الرجز لابن العَيِّف العبدي، وهو في إصلاح المنطق ص١٧٣، والمستقصى ١/ ٣٧.
(٢) معاني القرآن للزجَّاج ٥/ ٣٢٩، وللفرَّاء ٣/ ٢٦٤.

ثم قالوا: تُحبُّها قلت: بَهْراً عَدَدَ الرَّملِ والحصى والتُّرابِ[(١)]

وقولهم: لو أُريد النفيُ لم يتَّصلِ الكلامُ، ليس بشيءٍ؛ لظهور «كان» تحت النفي، واتصال الكلام عليه.

قيل[(٢)]: الكلامُ إخبارٌ عن المستقبل، فليس مما يلزم فيه التكرير، أي: فلا يقتحم العقبة؛ لأنَّ ماضيه معلومٌ بالمشاهدة، فالأهمُّ الإخبارُ عن حاله في الاستقبال، لكن لتحقُّقِ الوقوع عبّر بالماضي.

ونقل الطيبيُّ عن أبي عليٍّ الفارسي عدمَ وجوب تكريرها، رادًّا على الزجاج في زَعْمه ذلك، وقال: هي كـ «لم»، والتكرُّرُ في نحو: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ لا يدلُّ على الوجوب كما في: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ [الفرقان: ٦٧] وعلى عدم التكرُّر جاء قول أميَّة السابق[(٣)]:

إن تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمّا وأيُّ عبدٍ لك لا ألمّا

والمتيقَّنُ عندي أكثريةُ التكرُّرِ، وأما وجوبه فليس بمتيقَّنٍ، والله تعالى أعلم.

وقرأ ابن كثير والنحويان: «فَكَّ» فعلاً ماضياً «رقبةً» بالنَّصب «أو أَطْعَمَ» فعلاً ماضياً أيضاً[(٤)]، وعلى هذه القراءة فـ «فكَّ» مُبْدَلةٌ من «اقتحم» وما بينهما اعتراضٌ، ومعناه: إنك لم تَدْرِ كُنْهَ صعوبتها على النفس، وكُنْهَ ثوابها عند الله عزَّ وجلَّ.

وقرأ أبو رجاء كذلك، إلا أنه قرأ: «ذا مسبغة» بالألف، على أنَّ «ذا» منصوبٌ على المفعولية بـ «أطعم»، أي: أطعم في يومٍ من الأيام إنساناً ذا مسبغة، ويكون «يتيماً» بدلاً منه، أو صفةً له.

---

(١) أمالي المرتضى ٢/ ٢٨٩، والبيت في ديوان عمر ص٤٣١، وبهراً: مصدر بمعنى الغلبة، وكأنه قال: غلبني حبُّها واستولى علي غلباً عظيماً.

(٢) بعدها في الأصل: هو.

(٣) ص٢٨ من هذا الجزء.

(٤) التيسير ص٢٢٣، والنشر ٢/ ٤٠١.

وقرأ هو أيضاً والحسن: «أو إطعامٌ في يوم ذا» بالألف أيضاً[1] على أنه مفعولٌ به للمصدر.

وقرأ بعض التابعين: «فكُّ رقبة» بالإضافة، «أو أَطْعَمَ» فعلاً ماضياً[2]، وهو معطوفٌ على المصدر لتأويله به.

والتراخي المفهومُ من «ثم» في قوله تعالى: (ثُمَّ كَانَ) إلخ رُتْبيٌّ، فالإيمان فوقَ جميع ما قبله؛ لأنه يَستقلُّ بكونه سبباً للنجاة، وشكراً بدون الأعمال، كما فيمَنْ آمنَ بشرطه ومات في يومه قبل أن يجبَ عليه شيءٌ من الأعمال، فإنَّ ذلك ينفعه ويُخلِّصه، بخلاف ما عداه، فإنه لا يُعتَدُّ به بدونه.

وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَطْفٌ على «آمنوا»، أي: أوصى بعضُهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه، أو: بذلك والصبر على الطاعات، أو به والصبر عن المعاصي وعلى المِحَن التي يُبتلى بها الإنسان.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: بالرحمة على عباده عزَّ وجلَّ، ومن ذلك الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، أو: تواصوا بأسباب رحمة الله تعالى وما يُؤدِّي إليها من الخيرات، على أنَّ المرحمةَ مجازٌ عن سببها، أو الكلامُ على تقدير مضافٍ.

وذُكِرَ أنَّ «تواصوا بالصبر» إشارةٌ إلى تعظيم أمر الله تعالى، و«تواصوا بالمرحمة» إشارةٌ إلى الشفقة على خَلْق الله تعالى، وهما أصلان عليهما مدارُ الطاعة، وهو الذي قاله بعضُ المحققين: الأصلُ في التصوُّفِ أمران: صِدْقٌ مع الحقِّ، وخُلُقٌ مع الخَلْق.

﴿أُولَئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حَيِّز صِلَته، وما فيه من معنى البعد - مع قُرْبِ المشار إليه - لما مرَّ غيرَ مرَّةٍ، أي: أولئك الموصوفون بالنُّعوت الجليلة المذكورة.

---

(١) تنظر هذه القراءات في القراءات الشاذة ص١٧٤، والمحتسب ٢/ ٣٦٢، والبحر ٨/ ٤٧٦.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٧٦.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ أي: جهة اليمين التي فيها السُّعداء، أو اليُمْنُ لكونهم ميامين على أنفسهم وعلى غيرهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بما نصبناه دليلاً على الحقِّ من كتابٍ وحُجَّةٍ، أو بالقرآن.

﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي: جهة الشمال التي فيها الأشقياء، أو الشُّؤْم على أنفسهم وعلى غيرهم.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ﴾ عظيمةٌ ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ مُطْبَقَةٌ، من آصَدْتُ البابَ: إذا غلَّقته وأطبقته، وهي لغةُ قريش على ما روي عن مجاهد، وظاهرُ كلام ابن عباس عدمُ الاختصاص بهم، ومن ذلك قول الشاعر:

تَحِنُّ إلى أجبالِ مكةَ ناقتي ... ومِنْ دونها أبوابُ صنعاءَ مُؤْصدهْ[1]

ويجوز أن يكون من أوصدتُ بمعنى: غلَّقتُ أيضاً، وهُمِزَ على حَدِّ مَنْ قرأ: «بالسؤق» مهموزاً[2].

وقرأ غيرُ واحدٍ من السبعة: «موصدةٌ» بغير همز[3]، فيظهر أنه من «أَوصدتُ»، وقيل: يجوز أن يكون من «آصَدْتُ» وسُهِّلتِ الهمزةُ، وقال الشاعر:

قوماً يُعالج قُمَّلاً أبناؤهم ... وسلاسِلاً ملساً وباباً مُوصدا[4]

والمراد: مُغلَّقةٌ أبوابُها، وإنما أُغلقتْ لتشديد العذاب ـ والعياذ بالله تعالى ـ عليهم.

وصَرَّحَ بوعيدهم ولم يُصرِّحْ بوَعْدِ المؤمنين؛ لأنه الأنسبُ بما سِيقَ له الكلام، والأوفقُ بالغرض والمرام، ولذا جيءَ بضمير الفصل معهم لإفادة الحصر، واعتُبروا

---

(١) البيت في إصلاح المنطق ص١٨٠ دون نسبة، وأنشده ابن عباس لنافع بن الأزرق كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٥ عن الطستي.

(٢) في قوله تعالى: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص:٣٣] وهي قراءة قنبل كما في التيسير ص١٦٨، والنشر ٢/ ٣٣٨.

(٣) التيسير ص٢٢٣، والنشر ١/ ٣٩٥ وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي، وشعبة عن عاصم، وحمزة إن وقف.

(٤) البيت للأعشى وهو في ديوانه ص٢٨١.

غُيَّباً كأنهم بحيثُ لا يصلحون بوجهٍ من الوجوه لأنْ يكونوا مُشاراً إليهم، ولم يسلكْ نحوَ هذا المسلك في الجملة الأولى التي في شأن المؤمنين.

ونُقل عن الشمني أنه قال: الحكمةُ في تَرْكِ ضمير الفصل في الأولين، والإتيان بَدَله باسم الإشارة، أنَّ اسمَ الإشارة يُؤتَى به لتمييز ما أُريد به أكملَ تمييز، كقوله:

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنهِ   من نسل شيبان بين الضَّالِ والسَّلَم(١)

ولا كذلك الضمير، فإنَّ اسمَ الإشارة البعيد يفيدُ التعظيمَ؛ لتنزيل رفعةِ محلِّ المشار به إليه منزلةَ بعد درجته، فاسمُ الإشارة للتعظيم، والإشارةُ إلى تمييزهم واستحقاقهم كمالَ الشهرة، بخلاف أصحاب المشأمة، والضميرُ لا يفيد ذلك. انتهى.

وفيه أنَّ اسمَ الإشارة كما يفيد التعظيمَ يُفيدُ التحقير، كما في قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢] وكمالُ الشهرة كما يكون في الخير يكون في الشَّرِّ، فأيُّ مانعٍ من اعتبار استحقاقهم كمالَ الشهرة في الشَّرِّ؟ وبالجملة ما ذكره ليس بشيءٍ، ولعلَّ ما ذكرناه هو الأولى فتدبر.

---

(١) البيت لابن الرومي، وسلف ١٧/ ٩٩.

(سورة البلد)

(مكيّة، وهي عشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ (أقسم سبحانه بالبلد الحرام) وبما بعده على أن الإنسان خلق (مغمورًا في مكابدة المشاق). واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ أي ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل الصيد في غير الحرم. (عن شرحبيل): يحرمون أن يقتلوا بها صيدًا ويستحلّون إخراجك وقتلك، وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة البلد، مكيّة) أي بالإجماع قرطبي (وهي عشرون آية) واثنتان وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفًا. اهـ خطيب.

قوله: (أقسم سبحانه بالبلد الحرام) إشارة إلى أن ﴿لَآ﴾ صلته هنا وأن ﴿ٱلْبَلَدِ﴾ هنا مكة شرّفها الله. **قوله**: (مغمورًا) في المصباح غمرته أغمره مثل سترته أستره وزنًا ومعنى. اهـ. **قوله**: (في مكابدة المشاق) في المصباح الكبد بفتحتين المشقّة من المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله. اهـ. **قوله**: (عن شُرَحْبِيلٍ) في القاموس شرحبيل كخُزَعْبِيلٍ.

وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته. أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو عن مقاساة الشدائد، واعترض بأن وعده فتح مكة تتميمًا للتسلية (**والتنفيس**) عنه فقال: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾. أي وأنت حلّ به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلّها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلّت له، فأحلّ ما شاء وحرّم ما شاء، قتل (**ابن خطل**) وهو متعلّق بأستار الكعبة (**ومقيس بن صبابة وغيرهما**) وحرم دار (**أبي سفيان**) ونظير قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ في الاستقبال قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: الآية ٣٠]. وكفاك دليلًا على أنه للاستقبال أن السورة مكيّة بالاتفاق، وأين الهجرة؟ مَن وقْت نزولها؟ فما بال الفتح؟

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ هما آدم وولده، أو كل والد وولده، أو إبراهيم وولده، و«ما» بمعنىٰ «من» أو بمعنىٰ «الذي» ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ جواب القسم ﴿فِى كَبَدٍ﴾ مشقّة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

قوله: (**والتنفيس**) في المصباح نفس الله كربته تنفيسًا كشفها. اهـ. **قوله**: (**ابن خطل**) هو عبد الله بن خطل مشرك أمر النبيّ ﷺ بقتله يوم الفتح فقتله أبو بَرزَة خطل بفتح الخاء وفتح الطاء المهملة. **قوله**: (**ومِقْيَس**) بكسر الميم وسكون القاف وفتح الياء آخره سين مهملة (**ابن صبابة**) بمهملة مضمومة وموحّدتين الأولى خفيفة كان أسلم ثم أتى على أنصاري فقتله وكان الأنصاري قتل أخاه هشامًا خطأ في غزوة ذي قَرَدٍ ظنّه من العدوّ فجاء مِقيس فأخذ الديّة ثم قتل الأنصاري ثم ارتد ورجع إلى قريش فأهدر دمه قتَلَهُ نميلة تصغير نملة بن عبد الله الليثي. **قوله**: (**وغيرهما**) كالحويرث بالتصغير ابن نُقَيْد بنون وقاف مصغرًا قتله عليّ رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (**أبي سفيان**) صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأمويّ صحابيّ شهير أسلم عام الفتح ومات سنة اثنين وثلاثين وقيل: بعدها.

(وعن ذي النون): لم يزل مربوطًا بحبل القضاء مدعوًّا إلى **(الائتمار)** والانتهاء. والضمير في ﴿أَيَحْسَبُ (أَن لَّن يَقْدِرَ) عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ لبعض **(صناديد قريش)** الذين كان رسول الله ﷺ يكابد منهم ما يكابد، ثم قيل: **(هو أبو الأشد)**، وقيل: الوليد بن المغيرة. والمعنىٰ أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتصعب للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه، ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وأنه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾ أي كثيرًا **(جمع لبدة)** وهو ما تلبد أي كثر واجتمع، يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمّونها مكارم ومعالي.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَيَحْسَبُ (أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ) أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارًا يعني أن الله تعالىٰ كان يراه وكان عليه رقيبًا. ثم ذكر نعمه عليه فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾ يبصر بهما المرئيات ﴿وَلِسَانًا﴾ يعبر عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستر بهما **(ثغره)** ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ (﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾) طريقي الخير والشرّ المفضيين إلى الجنّة والنار وقيل الثديين.

قوله: **(وعن ذي النون)** هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم وقيل: الفيض بن إبراهيم كان أوحد وقته علمًا وورعًا وحالًا وأدبًا تُوفي سنة خمس وأربعين ومائتين بمصر رحمه الله. **قوله**: **(الائتمار)** الامتثال. **قوله**: (﴿أَن لَّن يَقْدِرَ﴾) أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمر أي أن الشأن لن يقدر. **قوله**: **(صَنَاديد قريش)** وهم أشرافهم وعظماؤهم الواحد صنديد وكلّ عظيم غالبٌ صنديدٌ. اهـ لسان العرب. **قوله**: **(هو أبو الأشد)** بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة واسمه أُسيد بن كلدة. **قوله**: **(جمع لُبدة)** بضم اللام كغرفة وغرف.

قوله: (﴿أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ﴾) أي أنه. **قوله**: **(ثغره)** في مختار الصحاح الثُّغْر ما تقدم من الأسنان. اهـ. **قوله**: (﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾) طريقي الخير والشر المفضيان إلى الجنة والنار وقيل: الثديين أي ثديي الأم وأصله المكان المرتفع وسُمِّيَ طريق الخير والشر بنجدين لأنه لما اتضحت الدلالة على كونهما طريقي الخير والشر صارا كالمكانين المرتفعين الظاهرين للأبصار من مكان بعيد بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني فلم يشكر تلك **(الأيادي)** والنعم بالأعمال الصالحة من فكّ الرقاب أو إطعام اليتامىٰ والمساكين، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة **(وأساس كل خير)**، بل **(غمط النعم)** وكفر بالمنعم. والمعنىٰ أن الإنفاق على هذا الوجه مرضي نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدًا في الرياء و**(الفخار)**. وقلّما تستعمل «لا» مع الماضي إلا مكرّرة، وإنما لم تكرّر في الكلام الأفصح لأنه لما فسّر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد «لا» ثلاث مرات وتقديره: فلا فكّ رقبة ولا أطعم مسكينًا ولا آمن. والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة، و**(القُحمة)** الشدّة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحامًا لها في ذلك من **(معاناة المشقّة)** ومجاهدة النفس. **(وعن الحسن)**: عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوّه الشيطان. والمراد بقوله: ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ ما اقتحامها ومعناه أنك لم تدركنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله. وفكّ الرقبة تخليصها من الرقّ والإعانة في مال الكتابة.

قوله: **(الأيادي)** في المصباح اليد النعمة والإحسان سُمّيت بذلك لأنها تتناول الأمر غالبًا وجمع القلّة أيد وجمع الكثرة الأيادي. اهـ. **قوله**: **(وأساس كل خير)** أي أصله. **قوله**: **(غمط النعم)** في مختار الصحاح غَمَطَ النعمة من باب فهم وضرب لم يشكرها. اهـ.

قوله: **(الفخار)** في المصباح فخرت به فخرًا من باب نفع وافتخرت مثله والاسم الفخار بالفتح وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك، إما في المتكلم أو في آبائه. اهـ. **قوله**: **(القحمة)** الشدة في المصباح القحمة بالضم الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد والجمع قحم مثل غرفة وغرف. اهـ. **قوله**: **(معاناة المشقّة)** في لسان العرب معاناة الشيء ملابسته ومباشرته. اهـ. **قوله**: **(وعن الحسن)** البصريّ رحمة الله عليه.

(﴿فكَ﴾) رقبةً (﴿أو أطعم﴾ مكيّ وأبو عمرو وعليّ) على الإبدال مَن اقتحم العقبة، وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ اعتراض. (غيرهم ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾) على: اقتحامها فك رقبة أو إطعام. والمسغبة المجاعة، والمقربة القرابة، والمتربة الفقر، (مفعلات) من (سَغِب) إذا جاع (وقَرُب) في النسب. يقال: فلان ذو قرابتي وذو مقربتي. (ترِب) إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه (المزابل) ووصف اليوم بذي مسغبة كقولهم (همٌّ ناصب) أي ذو نصب. ومعنىٰ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي داوم على الإيمان. وقيل: «ثم» بمعنىٰ الواو. وقيل: إنما جاء بـ «ثم» لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت، إذ الإيمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات (والمحن) التي يبتلى به المؤمن ﴿وَتَوَاصَوْا۟

قوله: (﴿فكَّ﴾) بفتح الكاف فعلًا ماضيًا ﴿رقبةً﴾ بالنصب مفعوله («أو أطعم») بفتح الهمزة والميم فعلًا ماضيًا أيضًا (مكيّ) أي ابن كثير المكيّ (وأبو عمرو وعليّ) الكسائي. **قوله**: (غيرهم ﴿فَكُّ﴾) برفع الكاف اسمًا (﴿رَقَبَةٍ﴾) بالجر مضافًا إليه. (﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾) بكسر الهمزة وألف بعد العين ورفع الميم منوّنة وفك خبر محذوف أي هو فك رقبة أو إطعام على معنى الإباحة. وفي الكلام حذف مضاف أي ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا﴾ [الحاقّة: الآية ٣] اقتحام ﴿ٱلْعَقَبَةُ﴾ عتق رقبة أو إطعام يتيم ذي قرابة ومسكين ذي فقر في يوم ذي مجاعة. **قوله**: (مفعلات) أي كل واحدة منها مصدر ميميّ على وزن مفعلة. **قوله**: (سَغِب) السغب الجوع وبابه طَرِب. اهـ مختار الصحاح.

قوله: (وقَرُب) بالضم قُرْبًا بضم القاف أي دنا. اهـ مختار الصحاح. **قوله**: (وترِب) في مختار الصحاح ترب الشيء أي أصابه تراب وبابه طَرِبَ ومنه تَرِبَ الرجل أي افتقر كأنه لصِق بالتراب. اهـ.

قوله: (المزابل) في مختار الصحاح الزِّبْل السِّرْجين وموضعه مَزْبَلة بفتح الباء وضمّها. اهـ. **قوله**: (همٌّ ناصب) في مختار الصحاح نَصِب تَعِب وبابه طرب وهَمٌّ ناصب أي ذو نصب كرجل تامرٍ ولابنٍ وقيل: هو فاعل بمعنى مفعول فيه لأنه يُنْصَب فيه ويُتْعَب كليل نائم أي ينام فيه ويوم عاصف أي يَعْصِف فيه الريح. اهـ. **قوله**: (والمحن) جمع المحنة.

﴿بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾ بالتراحم فيما بينهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ أي الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالقرآن أو بدلائلنا ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ أصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال، أو اليمن والشؤم أي **(الميامين على أنفسهم)** و **(المشائيم عليهن)** ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾﴾ **(وبالهمز: أبو عمرو وحمزة وحفص أي مطبقة)** من أوصدت الباب وآصدته إذا أطبقته وأغلقته والله أعلم.

قوله: (الميامين على أنفسهم) بطاعتهم. **قوله: (المشائيم عليهن)** بمعصيتهم. **قوله: (وبالهمز: أبو عمرو وحمزة وحفص)** والباقون بغير الهمزة أي بواو ساكنة وهما لغتان. يقال: أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته وقيل: معنى المهموز المطبقة وغير المهموز المغلقة. اهـ خطيب. **قوله: (أي مطبقة)** أي عليهم لا يخرجون منها أبدًا نعوذ بالله منها ومن موجباتها برحمة منه وفضل.

تمّت سورة البلد والحمد لله ربّ العالمين
وصلّى الله على سيدّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم